كتاب

الاشتقاق والتعريب

يبحث في ما يعرض للغة العربيـة من تكاثر كلماتها بواسطتي
الاشتقاق والتعريب . وأن هذا الأخير طبيعيٌّ في لغتنا
وفي غيرها من اللُّغات . وأن استعمال المعرَّب
لا يحطُّ من قدر فصاحة الكلام
والاستشهاد على ذلك

تأليف

عبد القادر بن مصطفى المغربي
من طرابلس الشام
وأحد محرري جريدة المؤيد
بمصر

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة ١٩٠٨

فهرست

كتاب

الاشتقاق والتعريب

يبحث في ما يعرض للغة العربيــة من تكاثُر كلماتها بواسطتي
الاشتقاق والتعريب · وأن هذا الأخير طبيعيٌّ في لغتنا
وفي غيرها من اللُغات · وأن استعمال المعرَّب
لايحطُّ من قدر فصاحة الكلام
والاستشهاد على ذلك

تأليف

عبد القادر بن مصطفى المغربي
من طرابلس الشام
وأحد محرري جريدة المؤيد
بمصر

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة ١٩٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسوله الصادق الامين . وبعد فان أُمتنا العربية في أشدّ الحاجة الى نشر العلوم بين ظَهرانَيْ أبنائها . ولن يكون تعليم تلك العلوم وافياً بالحاجة ما لم يكن بلغة المتعلمين التي نشأوا على التفاهم بها . وان تصلح اللغة العربية لاداء هذه الوظيفة ما لم تنمُ وتتسع دائرتها وتتوفر فيها الكلمات المحتاج اليها في تلقين تلك العلوم والفنون . ولتوفّر تلك الكلمات والاستكثار منها طريقان : « الاشتقاق » و« التعريب » أعني جعل الكلمة الاعجمية عربية . وقد نرى الغريب عن اللغة . البعيد عن معرفة أسرارها . يرميها بضيق العطن . وقلة الكلمات المحتاج اليها في المطالب العصرية المختلفة . وأن اللغة غير صالحة بالجملة للتعليم والتعلم . واذا عذرنا هؤلاء فلا يحسن أن نعذر أبناء اللغة أنفسهم الذين أعرضوا عن الانتفاع بالاشتقاق والتعريب . بل ربما أقاموا العواثير في سبيل

ذلك الانتفاع . وليتني كنت أدري ما هو حدُّ التعريب عند أُولئك الفضلاء ؟ وما هي طريقته وشروطه في رأيهم ؟ وكيف اذا سمعوا بكلمة غريبة عن اللغة عُرِّبت وشاعت بين اهلها وطابت لها نفوسهم ومَرِنت عليها ألسنتهم — حوقلوا وسبحلوا وعدُّوا دخولها في تراكيب اللغة كدخول ميكروب الامراض الخبيثة في تجاليد الانسان العزيز عليهم: فهم يعملون على إخراجه والتخلص من شره بأَية وسيلة كانت . وتراهم من جهة ثانية يرفعون أَصواتهم بالانتصار للغة والاعجاب بخصائصها ومزاياها والاحتجاج على أُولئك الذين يرمونها بالاملاق . وضيق النطاق

واني لا أَرى انتصارهم واحتجاجهم صحيحين . ما لم يعملوا على إحياء هاتين القوتين « الاشتقاق » و « التعريب » وتمهيد السبل للانتفاع بهما

وقد أَثبتُّ في كتابي هذا أَن التعريب قياسي او هو طبيعي في اللغة لا تتيسر مقاومته . وأَن المعرَّب عربي: فاستعماله في الكلام الفصيح لا يحطُّ من قدر فصاحته . ولا يُخرج البليغ عن بلاغته . فان أَصبت في رأيي فتلك المثلى . وإن كانت الاخرى . فليست بالاولى

مقدمة

الامة تنمو وتتكاثر أفرادها بطريقين : التوالد والتجانس · أما الاول فظاهر في أن الامة ترجع بشُعَبها وفروعها الى بضعة افراد من اجدادها · او الى جدٍّ واحد احياناً كيعقوب بن اسحق جد الامة الاسرائيلية · ويعرب بن قحطان جد عرب اليمن · وعدنان جد عرب الحجاز · فان هؤلاء الاجداد الثلاثة نسلوا اولاداً · وهؤلاء الاولاد نسلوا · وهكذا تكوّنت هاتان الامتان العظيمتان : الامة اليهودية والامة العربية · وتكاثرت افرادهما ·

ولكن اذا قلنا اليوم « الامة العربية » لا يراد من اطلاقها الاناسيُّ الذين انحدروا من صلب يعرب او عدنان فقط بل يتناول ايضاً قوماً آخرين من مثل الفرس والروم والسريان والقبط والبربر لا نسبة بينهم وبين يعرب او عدنان · وليسوا هم من سلالتهما · وانما امتزجوا بهذه السلالة · ونطقوا بلغتها · واندمجوا في مطاويها · فكانوا عرباً · وتقمَّصوا جنسية العرب · ولو قلنا

للخمسين مليون عربي الموجودين اليوم — لِيعْتَزِ كلٌّ منكم الى جده الذي كان منذ آلاف من السنين — لما اعتزى الى يعرب وعدنان منهم سوى عشرة ملايين أَو أَقل . فالامة العربية إِذن تكاثرت بطريق ثان غير التوالد . وهو ما سميناه بالتجنّس . اي الاندغام في الجنس

وتكاثر الامة العربية بالتجنس لم يحصل بتأْثير الاسلام ولا بفتوحاته فقط وانما كان يحصل ايضاً قبل الاسلام . وفي زمن التفاف الامة في جاهليتها . وانحجارها في جزيرتها . وقد كانت لذاك العهد قسمين : قسم يقال له العرب العاربة . و يريدون بهم أَولاد قحطان . وهؤلاء هم الاصل في العروبة . وقسم يقال له العرب المستعربة . وهم اولاد عدنان الذي هو من سلالة اسماعيل بن اسحق صلوات الله عليهما . واسماعيل عبراني العرق . لكنهُ تجنس بالجنسية العربية . ولابس العرب . ونطق بلغتهم . وصار منهم وفيهم . فلم تكن سلالته خالصة العروبة . قال رجل لعلي كرم الله وجهه : اخبرني يا امير المؤْمنين عن اصلكم معاشر قريش . فقال نحن قوم من « كوثي » . وكوثي بلد بالعراق بها ولد ابراهيم عليه السلام

وقد تكاثرت الامة العربية بأولاد اسماعيل لا عن طريق التوالد بل عن الطريق الآخر — طريق التجنس والتعرّب . وهذا لا يقدح في عروبتهم . ولا يخرجهم من الجنس العربي . ولا يحط منزلتهم عن منزلة العرب العاربة — حتى هؤلاء فان بعض المحققين من مؤرخي العصر يرى ان اصلهم من بلاد الحبشة نزلوا اليمن واختلطوا باهله وصاروا عرباً . ويكفيك شاهداً على صحة عروبة بني اسماعيل . أنه صلى الله عليه وسلم من اولاد اسماعيل المستعربين . فلو كانوا مفضولين لما ابتعث الله سيد الخلق منهم .

واذا تدبرت ما قلناه في نموّ الامة من حيث التوالد والتجنس وجدتهُ منطبقاً تمام الانطباق على نمو لغتها من حيث الامران المذكوران أيضاً : فلغة الأُمة العربية كانت لأَوّل عهدها مؤَلفة من أُصول قليلة . وكلمات ساذجة . ثم تهيئت لها أَسباب الارتقاء فأَخذت تنمو وتتكاثر بالطريقين أَو العاملين اللذين أَثرا في نمو الامة نفسها وتكاثرها . فكانت تلك الاصول والكلمات تتوالد وتتناسل وتُجنّس غيرها من كلمات اللغات الاخرى بجنسيتها . وهنا نخالف في التعبير : فندع كلمتي

« التوالد » و « التجنس » اللتين استعملناهما في نمو الامة ·
ونستعمل مكانهما في نمو اللغة كلمتي « الاشتقاق » و « التعريب »
فالاشتقاق في اصول كلمات اللغة العربية بمثابة النتاج والتوليد
في الافراد المتكلمين بها · والتعريب في الكلمات الدخيلة
الطارئة على تلك اللغة ـ كالتعرّب بالنسبة للدخلاء في الامة
العربية · والمتحمين بها · ولكن نموّ الامة اكثر ما يكون
بالتوالد · على العكس من اللغة : فان اكثر نموها بالتعريب · واذا
عرفنا أن النمو في اللغة آية من آيات حياتها · وان العامِلَين
المؤثرين في ذلك النمو انما هما « الاشتقاق » و « التعريب »
وجب علينا نحن ابناء اللغة العربية أن ندرس فني الاشتقاق
والتعريب حق الدرس · ونقتلهما بحثاً وتدقيقاً · كي نتوصل
بذلك إلى إمداد لغتنا بالحياة الدائمة · والنموّ المتواصل ·

الاشتقاق

هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً وتغايرهما في الصيغة · أو يقال هو تحويل الاصل الواحد الى صيغ مختلفة لتفيد ما لم يستفد بذلك الاصل: فمصدر «ضَرْب» يتحوَّل الى «ضَرَبَ» فيفيد حصول الحدث في الزمن الماضي والى «يضرب» فيفيد حصوله في المستقبل وهكذا · وهذا التحوّل والاشتقاق انما يلحق الاصول الدالّة على الافعال والاحداث لانَّ هذه التي تتغير وتستحيل من طور الى طور لما ينتابها من العوارض: فالضرب مثلاً يختلف باختلاف زمن حدوثه وباختلاف الفاعلية والمفعولية الى غير ذلك من الاعتبارات · اما الاصول الدالة على الموادّ والاعيان – وهي ما يسمونه بالجواهر والاسماء الجامدة – فليست بهذه المثابة · ولا تلابسها هذه العوارض · فكلمة «أَرض» تدل على هذا الجسم الكرِّي الذي نعيش عليه · ولا يطرأُ عليه من العوارض ما يطرأُ على الافعال والاحداث · فلا يتحول لفظه · ولا يشتق منه غيره · أَللهم إلاَّ ما سمع عن أَهل اللغة أَنفسهم · وما حولوه

هم بألسنتهم: كمادة « حجر » التي اشتقوا منها استحجر الطين · ومن « ناقة » استنوق الجمل · ومن « سَيْف » سَافَه اي ضربه بالسيف · ومن « الرأس » رَأَسَه إذا أصاب رأسه

وقد يقال ان الاشتقاق سماعي بالجملة أي يرجع فيه الى ما ورد عن العرب انفسهم : فالاسم الجامد الذي سمع أنهم حولوه واشتقوا منه نتابعهم فيه · والمصدر الذي سمع أنهم اشتقوا منه صيغاً معدودة لنا أن نستعملها · ونطق بها · ومالا فلا · فليس لك أن تشتق من كلمة · « الحصا » الجامدة فعلا كاستحجر · ولا من كلمة « سهْم » سَهَمَه · و « رِجْل » رَجَلَه تعني رماه بالسهم وأصاب رجله · كما قالوا في السيف سَافَه · وفي الرأس رَأَسَه · هذا ما يقال بالنسبة للجواهر · ومثل ذلك يقال في المصادر واسماء الاحداث : فاننا نقتصر في المشتقات منها على ما سمع منهم · ونقل الينا عنهم · فلا نشتق من النحافة « ناحف » كضامر وقد قالوا هم « نحيف » · ولا من الكشح « كشيح » بمعنى مضمر العداوة وقد قالوا هم كاشح · ولا من السخط

سخَّطه بتشديد الخاء كهيَّجه اذا أَغضبه وقد قالوا هم أَسخطه بالهمزة . واشتقوا من الحب «محبوب» ولم يشتقوا «حابّ» فلا نستعمله — ومن أَحب «مُحِبّ» بصيغة اسم الفاعل ولم يشتقوا «مُحَبّ» بصيغة اسم المفعول فلا نقوله نحن وهكذا ومحصل القول أَن اشتقاق كلمة من أُخرى مما يقصد اليه العرب . وله عندهم قياس يعرفونه . وأُسلوب يجرون عليه . ولا يجوز لمن جاء بعدهم أَن يفتات عليهم في اشتقاق ما لم يشتقوه هم . قال ابن فارس «أَجمع اهل اللغة إلاَّ من شذَّ منهم أَن للغة العرب قياساً . وأَن العرب تشتق بعض الكلام من بعض . وأَن اسم الجنّ مشتق من الاجتنان . وَأَن الجيم والنون تدلان أَبدًا على الستر : تقول العرب للدرع جُنَّة . وأَجنه الليل . وهذا جنين أَي في بطن أُمه . وان الأَنس الظهور : يقولون آنست الشيء أَبصرته . وعلى هذا سائر كلام العرب . علم ذلك من علم . وجهله من جهل . قال وهذا مبني أَيضًا على أَن اللغة توقيف : فان الذي وقفنا على أَن الاجتنان الستر هو الذي وقفنا على

ان الجن مشتق منه · وليس لنا اليوم ان نخترع · ولا أَن نقول غير ما قالوه · ولا أَن نقيس قياساً لم يقيسوه : لأَن في ذلك فساد اللغة · وبطلان حقائقها · قال : ونكتة الباب أَن اللغة لا تؤْخذ قياساً نقيسه الآن نحن» انتهى كلامه فمواد اللغة العربية أَذن أَشبه بأُمَّات ولَّد منها أَهل اللغة أَولاداً وذراريَّ هي المشتقات · وقد كانت بعض تلك الأُمّات والذراري نافرةً ابدة في البوادي وبين أَحياء العرب · والبعض الآخر منها مستأْنساً متحضّرا · فجاء الاصمعي وأَبو عبيدة وأَضرابهما فآنَّسوا شواردها · وقيدوا أَوابدها · ثم جعلوا يُدلُون بها الى أَصحاب المعاجم · والمشتغلين بالتدوين · فأَودعها هؤُلاء معاً أَودعوا بطونَ الأَسفار · كما يودع المؤَلفون في فنِّ المملكة الحيوانية في تآليفهم — أَسماء الحيوانات ورتبها وأَجناسها · وببركة هذه القوة — قوةِ الاشتقاق أَو التوالد — نمت لغة العرب وتكاثرت حتى بلغ عدد كلماتها على ما قاله حمزة الاصفهاني ١٢٦٣٥٠٠٥٢ كلمة · ما بين مشتق واسم جامد وعلم شخص · اما المشتقات وحدها فقد بلغت سبعين أَلف كلمة · ولم يبخل العرب —

كيف والكرم من سجاياهم – على بعض المعاني : فوضعوا لها اسماء تفوق حد التصور : فكان للسيف ألف اسم . وللثعبان مائتان . وللاسد خمسمائة . وللداهية اربعمائة . حتى قال الثعالبي « تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي . »

وطريقة الاشتقاق هذه وتشعب أفانينه على هذه الصورة ربما كان من مزايا لغة العرب التي انفردت بها . وهو وحده كاف في الدلالة على أن تلك اللغة انما تكوّنت بمقتضى ناموس النشوء والارتقاء الطبيعي – وعلى تزييف قول من قال ان اللغة أنزلت فجأة . أو ألهمت بغتة . أو أن يقال فيها مثلما قيل في « حتّى » « هكذا خلقت »

واذا أذعنّا الى هذا الرأي في تكوّن اللغة من أنه كان على مقتضى ناموس طبيعي – كان علينا أن نساعد هذا الناموس في عمله مساعدةً يظهر أثرها في حياة لغتنا العربية وانتعاشها ومجاراتها لغيرها من اللغات الحية التي تريد القضاء عليها والحلول محلها .

وما قلناه آنفاً من أَن الاشتقاق هو من وسائل نموِّ اللغة ، وتوالد موادّها ، وتكاثر كلماتها ـ انما نعني به ما يسمونه الاشتقاق الصغير ، وهو ان يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب : مثل اشتقاق «ضرب» «يضرب» «اضرب» «ضارب» «مضروب» من مادة الضرب . وهذا النوع من الاشتقاق هو الذي يتبادر الى الذهن عند الاطلاق ، لأَنه الاوسع دائرة ، والاكثر نتاجاً . والافإن في لغة العرب وسائل أُخرى لنموها وتكاثر كلماتها هي من قبيل الاشتقاق الصغير المذكور إلا أَنها تجري على نمط آخر ، وتتحرك في دائرة أَضيق ، وأُريد بها «القلب» و«الابدال» و «النحت»

القلب

ويقال له ايضاً الاشتقاق الكبير ، وهو أَن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب : مثل فعل «جَبَذَ» المشتق من مادة «الجذب» ، فان الحروف في المشتق

هي عينها في المشتق منه · والمعنى فيهما متناسب · وانما الفرق بينهما أن الباء في الاول قبل الذال على عكس الثاني · وهذا ما أرادوه بالقلب في هذا المقام · اما الاشتقاق الصغير كضَرَبَ من الضرب فانهما اتفقا في الامور الثلاثة : الحروف والمعنى والترتيب ·

ويحسن هنا التنبيه على شيئين (١) أن الكلمة الاكثر شيوعاً وتداولاً تُجعَل الاصل المشتق منه · والاخرى الاقل شيوعاً تجعل مشتقاً : فمن ثم كان الجذب هو الاصل وجَبَذَ هو الفرع المشتق : لان جذب دائر على ألسنتهم أكثر من جبذ (٢) مهما كان معنى جذب وجبذ واحداً فلا بد أن يكون في أحدهما شيء من المعنى لم يلاحظ في الآخر كأن يكون الجذب في أحدهما أشدّ من الآخر أو مستعملاً في حالة دون حالة · ولعل قولهم في التعريف « أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى » دون « اتحاد في المعنى » مما يشير الى ذلك · ويتضح هذا أيضاً فيما نذكره من أمثلة القلب :

« الشوب » الخلط · شاب اللبن بالماء خلطه به · فاذا

قدّمتَ الواو على الشين وقلت « وَشْب » ثم جمعتها صارت « أَوشاب » وهم الاخلاط من الناس · واذا قلت « وَبْش » وجمعتها صارت « أَوباش » وكان معناها ايضاً أَخلاط الناس · وأَوبشت الارض أَنبتت واختلط نباتها · واذا قلت « بَوْش » مقلوب ما تقدم كان معناها القوم المختلطين من قبائل شتّى · والبوش ايضاً طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويغسل في زبّيل ويجعل في جرّة ويطيّن ويجعل في التنور وقد سمي بذلك لما فيه من الاختلاط · وتركتهم هوشاً بوشاً مختلطين · وبوّشوا تبويشا اختلطوا ·

« خرشَبَ » عمَلَه اذا لم يحكمه : فاذا قدّمتَ الشين على الباء وقلت « خشرب » عمله كان معناه أَيضاً أَنه لم يحكم العمل

« طفا » فوق الماء علا عليه · وأَلِفُه واو · فاذا قدمته على الفاء صارت طاف · فطاف مقلوب طفا · ومعناهما متناسب متقارب · وذلك لان مَن طفا على وجه الماء قلما يثبت في موضع · وانما هو طائف متنقل على سطحه · ومنه

« الطوف » وهو قِرَب تُنفخ ويشدُّ بعضها الى بعض ثم تُركَب ويُحمَل عليها في البحر · فالطوف المذكور من طاف لكنه ملاحظ فيه معنى طفا · والطائف (البلدة المعروفة) اسم فاعل من طاف · سميت بذلك لانها ـ فيما زعموا ـ طفت على الماء في زمن الطوفان · فانظر كيف جعلوا الطوف والطفوّ واحدًا

« الساعة » الجزء من الزمان · والفه ياء لانه من ساع الماء يسيع جرى · وناقة مسياع تذهب في المرعى · ولما كان الجزء من الزمن ينقضي ولا يستقرُّ سمّي ساعة · أَو أَن الف الساعة واو : ساعت الابل تسوع تخلَّت بلا راع · ويقال فلان ضائع سائع · فاصل ساعة إِذن سوعة · فاذا قدمت العين على الواو وقلت « سعوة » صحت وبقيت الكلمة بمعنى الساعة المعروفة ·

« حفّ » الفرس او الطائر حفيفاً سمع له صوت عند ركضه او طيرانه · وحفّ الشجر كان لاغصانه وأَوراقه حفيف اي صوت · وحفَّت الحية كان لجلدها حفيف اي

صوت عند مشيها . فاذا قلبت الكلمة وقلت فَحَّت الحية تفح فحيحاً أردت أن صوتها كان من فمها لا من جلدها . فالفحيح مقلوب الحفيف ومعانيهما متقاربة متناسبة

الابدال

ويسمّى الاشتقاق الاكبر ايضاً . وهو ان يكون بين اللفظين تناسب في المعنى والمخرج نحو نعق ونهق . المعنى متقارب : اذ هو في كل منهما الصوت المكروه الممقوت . وليس بينهما تناسب في اللفظ لان في كل من الكلمتين حرفاً لا يوجد نظيره في الكلمة الاخرى . غير ان الحرفين اللذين اختلفا فيهما اعني العين والهاء ـ متناسبان في المخرج . فان مخرجهما الحلق . ولذلك سمي هذا الضرب اشتقاقاً اكبر اي أبعد عن الاشتقاق الصغير من اخيهما الثالث المسمى بالكبير

وقد يصعب في نعق ونهق أن يعرف أيّهما الاصل المشتق

منهُ وأَيهما الفرع المشتق . ومثلهما في ذلك فدخ وفدغ . وفدخ وفضخ . وأَنَّ وحنَّ . وثلم وثلب . وقصَّ الشيءَ وقسَّهُ طلبهُ وتتبع أَثره . وما زال راتباً او راتماً أَي مقيماً . ما بهِ من « الطعم » او « الطعب » شيءٌ اي مابهِ شيءٌ من اللذة والطيب . وما ذقت « لواقا » و « لواكا » اي شيئاً . وهمهم وحمحم وغمغم . وطنطن ودندن . وكل هذا مما يدخل في الابدال او ما يسمونهُ الاشتقاق الاكبر لانطباق تعريفهِ عليهِ

لكن علماء الاشتقاق ان وقفوا في متناولات « الاشتقاق الاكبر » ومفهومهِ عند هـذا الحد اي حد تناسب اللفظين في المخرج — فان علماءَ اللغة او المدققين منهم لم يقفوا عنـده بل توسعوا في تعريف « الابدال » ومفهومهِ الى أَبعد من هذا . وجعلوه بحيث يتناول إِبدال حرف من حرف آخر مطلقاً : وافقهُ في المخرج كما في الامثلة السابقة . اولم يوافقهُ فيهِ بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين . فمن الابدال اوالاشتقاق الابدالي عند اصحاب هذا الرأْي — قولهم سمعت طرير البكرة وصريف الباب والقلم : لا تناسب بين الفاء والراء . « الخرق » معروف و « الخرب » كل ثقب مستدير . و « الخرت » ثقب الاذن

وغيرها ولا تناسب بين القاف والباء والتاء. هديل الحمام وهدير البعير صوتهما . ولا تناسب بين اللام والراء . وجمجمة وهمهمة متناسبان في المعنى لا المخرج .

وقد يبدل الحرف الثاني من الفعل المضاعف — حرفاً آخر مثل : كدَّ كدح . رصَّ رصف . زحَّ زحل . رجَّ رجف . ضمَّ ضمد . ردَّ ردع . وتبدل ألف الفعل الناقص حرفاً آخر نحو : رسا رسب . سما سمق . زجا زجر . هذى هذر . محا محق . احتفى احتفل . دهدى الحجر دهدهُ . (أي دحرجهُ) أسا أسف . حصا حصب . بهاء بهجة . الحِجى الحِجْر (بمعنى العقل) . رَخاء رُخْص . هَبَاء هباب (وهو الغبار ودقاق التراب الساطعة) . ويحوّل المضاعف الى ناقص . رَبَّ رَبَا . طمَّ طَمَى . تمطَّط تمطَّى . تقضَّض البازي (إذا انقضَّ) تَقَضَّى . تظنَّنَ تظنَّى (إذا ظنَّ) .

ويحوَّل ايضاً الى أجوف : ضرَّه ضاره . كعَّ عن لقياه وكاع إذا خام ونكص . في نظائر ذلك من ضروب الاشتقاق والتوالد التي تنمو بها اللغة وتكثر مادتها . وتتسع دائرتها

النحت

النحت ايضاً ضرب من ضروب الاشتقاق . ومعناه في اصل اللغة البري : يقال نحت الخشبَ والعودَ إِذا براه وهذَّب سطوحهُ . ومثله في الحجارة والجبال قال تعالى « أَتعبدون ما تنحتون » « وتنحتون من الجبال بيوتاً » . والنحت في الاصطلاح أَن تعمد الى كلمتين أَو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها — كلمةً فذَّةً تدل على ما كانت تدل عليهِ الجملة نفسها . ولما كان هذا النزع يشبهُ النحت من الخشب والحجارة سمّي نحتاً . وهو في الحقيقة من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقاً بالفعل . لان الاشتقاق ان تنزع كلمة من كلمة . والنحت ان تنزع كلمة من كلمتين او اكثر . وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوتة .

والنحت مما يعرفهُ اهل اللغة انفسهم وجرَوا عليهِ في كلامهم . وفي المعاجم اللغوية شواهد كثيرة على ذلك

ويمكن ارجاع النحت الى اربعة اقسام نحت « فعلي » و « وصفي » و « اسمي » و « نسبي » فالفعلي ان تنحت من الجملة

فعلاً يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها : مثل قولهم «بأبأ» اذا قال « بأبي أنت » والهمزة الاخيرة في بأبأ منحوتة من « أنت » . و« سبحل » و« حوقل » من سبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله . و« دمعز » و« سمعل » من أدام الله عزَّك . والسلام عليكم . وفذلك العدد اي قال فذلك العدد قد بلغ كذا . ولا شاه من صيّره لا شيء . ومنهُ قولهُ تعالى « واذا القبور بعثرت » فان « بعثر » منحوتة من « بعث وأثير » اي بعث ما فيها وأثير ترابها .

و« النحت الوصفي » ان تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة بمعناهما او بأشدمنهُ : نحو « ضبطر» للرجل الشديد منحوت من « ضبط وضبر» وفي ضبر معنى الشدة والصلابة : جمل مضبور مكتنز اللحم . ورجل ذو ضبارة مجتمع الخلق موثقه . ونحو « الصلدم » الشديد الحافر . منحوت من « الصلد والصدم » . ومثل «صهصلق » الشديد من الاصوات من « صهل وصلق » وكلاهما بمعنى صوّت

و « النحت الاسمي » ان تنحت من كلمتين اسماً مثل جلمود من « جلد وجمد » . وقد يتأتى في هذا النوع أن تكون حروف

المنحوت عين حروف المنحوت منهُ ويكون أثر النحت في الصيغة والهيئة لا في المادة : مثل « شَقَحْطَب » على وزن سفرجل . وهو اسم للكبش الذي له قرنان كل منهما يحكي « شقَّ حَطَب » . ومثل « حَبَقُر » اسم للبرد بفتح الراء . أصله حَبُّ قُرٍّ كما يقولون حب الغمام علَى هيئة التركيب الاضافي . والقُرّ بضم القاف بمعنى البرد بسكون الراء . ويقال هذا الشيء أبرد من « حَبَقُر » يعنون من البرد بفتح الراء .

و « النحت النسبي » أَن تنسب شيئاً او شخصاً الى بلدتي « طبرستان وخوارزم » مثلاً فتنحت من اسميهما اسماً واحداً علَى صيغة اسم المنسوب : فتقول « طبرخزيّ » اي منسوب الى المدينتين كليهما . ويقولون في النسبة الى « الشافعي وأَبي حنيفة » « شفعنتي » والى « ابي حنيفة والمعتزلة » « حنفلتي » . ولا اتحمل مسئولية حسن مثل هذه الكلمات وصحة استعمالها واعتبارها من الفصيح وانما أردت ان استدل بالجملة على أَن قوة الاشتقاق في لغتنا العربيــة قوة عظمى تساعد على اتساع نطاق اللغة وتكاثر نتاجها . والمرأَة الناتق الولود قلما يخلو ان يكون في أَولادها السمج البغيض . فلا عجب اذا وجد مثل حنفلتي وشفعنتي في ذراري

اللغة العربية الكريمة ·

وقد أعملت الفكر مرة في كثير من الكلمات الرباعية والخماسية فوجدت أنه يمكن إرجاع معظمها إلى كلمتين ثلاثيتين بسهولة · ولاحظت أن تكوّن تلك الكلمات في لغة العرب إنما كان بواسطة طريقة النحت المذكورة أو بما نسميه الاشتقاق النحتي : فمثل « دحرج » منحوت من « دحره فجرى » ومثل « هرول » من « هرب وولى » و« خرمش » الكتاب أفسده من « خرم وشوّه » أو من « خرم وشرم » ومثل « دعثره » إذا صرعه من « دعّه فعثر » · و« بَحْثَرَتْ » الدجاجة « بَحَثَتْ وأَثَارَتْ » التراب لتلتقط الحب وهكذا ·

وقد ظهر لك مما تقدم أن الاشتقاق قوة لنمو اللغة وتكاثر كلمها وتشعب صيغها · لكنه سماعي مقيد بأزمان خاصة وأشخاص معينين · وليس من مقدورنا نحن ان نُعمل تلك القوة الآن في اللغة · فنشتق من مصادرها ونحوّل موادها اشتقاقاً وتحويلاً لم يعرفها أهل اللغة انفسهم · اللهم إلا إذا طرأ على عمراننا

وعقولنا وعلومنا التي نسميها نقلية ما يفكها من قيودها القديمة ويجاوز بها سُنَنَها المتبعة · وليس هذا الدور البعيد مما يحسن ان نتكلم عنه الآن

إِذا لم يكن من حقنا ان نستعمل تلك القوة قوة الاشتقاق ونتوصل بها الى توسيع نطاق لغتنا فهل قضيَ علينا هذا القضاء نفسه بالنسبة الي قوة « التعريب » بحيث لا يسوغ لنا أَن نأْخذ كلمات أَعجمية من اللغات الاخرى · ونجنّسها بجنس لغتنا · وتودعها في جملنا وتراكيبنا كما كان يفعل أَهل اللغة أَنفسهم في عصورهم الاولى · فقد كانوا يقتبسون من لغات الاعاجم ما شأُوا وشاءت حاجتهم · ثم لا يأْنفون من استعمال هذه الكلمات المعرَّبة · ولا يخرج كلامهم بها عن حد الفصاحة · ولا يفقد رونق عروبته وتأْثير بلاغته ؟

التعريب

ليس التعريب في اللغة العربية عملا بِدْعا • وليس وجود اللفظ المعرّب في جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب في جسم الانسان من حيث يضرُّ بقاؤه وتجب إزالته • والمعرب ـ ويسمى ايضاً دخيلاـ هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها • وقال السيد في حواشيه « هو لفظ وضعه غير العرب لمعنى ثم استعملته العرب بناءً على ذلك الوضع »

والتعريب تحويل طبيعي اوتغيير تدريجي يطرأُ على اللغة ويجري بها في ناموس مطَّرد • وقدخضعت له اللغة العربية بمجموعها ومن أَول نشأَتها كما تخضع له الآن وبعد الآن • وأَعني بذلك أَن اللغة العربية بمجموعها معرَّبة ومحوَّلة عن لغة أَعجمية كما يتحول اليها اليوم كثير من الكلمات الاعجمية • وهذا التحويل حصل لاول تكوّن اللغة تدريجيا • لكنّه وصل الينا بجملته فحسبناه حصل دفعة واحدة وأَن الله أَوجده على لسان رجل

او قبيلة كذلك : بأن أنطقها به من حيث لا تشعر . أو أوحى اليها به . كذا كانوا يظنون . وباطل ما كانوا يظنون .

وأكبر حجة لهؤلاء على أن اللغة تلقيت بطريق التوقيف ـ قوله تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها » اي انه تعالى علم آدم أبا البشر جميع الالفاظ الدالة على الاشياء . فتكون اللغة اذن مما أنزله الله إنزالاً على لسان أول ناطق بها من غير أن يكون له صنع في وضعها . ولا إرادة في توليدها . ولكن المحققين على خلاف هذا القول : فانهم ذهبوا الى أن المراد بالاسماء في الآية المذكورة هو المسميات أي المعاني والاشياء التي تدل عليها الاسماء . لا الاسماء نفسها . وذلك لامور :

(١) انه تعالى قال بعد ذلك « ثم عرضهم على الملائكة » اي عرض تعالى المعلومات التي علمها آدم ــ على الملائكة . ولا ريب أن المعلوم الذي يصح فيه العرض انما هو الاشياء التي تشاهَد وهي معاني الاسماء . لا الاسماء نفسها التي تسمع . يقال عرض الجارية على البيع وعرض الجند إذا أمرّهم عليه . ونظر

ما حالهم. ولا يقال عرض الالفاظ عليه. وانما يقال تلاها عليه وقرأها.

(٢) ان الضمير المنصوب في عرضهم يدل على أن من جملة المعروض أشخاصاً والا لقال «ثم عرضها». والاشخاص معاني لا ألفاظ. والمراد بعرض الاشخاص على الملائكة — مع أنهم لم يوجدوا بعدُ — أنه عرضت على الملائكة مُثُل أولئك الاشخاص واشكالهم. لا ذواتهم واعيانهم.

(٣) لا مزية لآدم على الملائكة في أن يعرف اسماء الاشياء. وانما المزية والمنقبة في أن يعرف مسمياتها ومعانيها فان ذلك مما يحدث في نفسه فضل إيمان بالله. وزيادة ثقة بعنايته وقدرته.

(٤) تعليم آدم اسم الشيء غير معقول ولا متصوّر: لأن للشيء الواحد أسماءً متعددة بتعدد اللغات. بل كثيراً ما كان له في اللغة الواحدة طائفة من الاسماء: كالسيف مثلاً فان له في اللغة العربية ألف اسم. واذا فرضنا أن لهُ في سائر اللغات — الحية والميتة والتي ستحيى — أربعة آلاف اسم — يكون آدم تعلم للسيف وحده خمسة آلاف اسم. ومهر

في سردها · وهو عبث نجلُّ مقام الالوهية والنبوة عنهُ · وانما المعقول أَن يكون تعالى أَرى آدم مثال السيف بحيث يفهم كيف اصطُنِع · وما الغرض من صنعه مثلاً · وهذا هو العلم النافع كما لا يخفى ·

ومحصل القول ان اللغة العربية وسائر اللغات اهتدى ايها الانسان ببابل من فطرته · ثم اخذت تنمي وتتكاثر على لسانه وتتسع دائرتها بينه وبين المطيفين به من أَهله وإِخوانه · كما أَن تعريب الكلمات الاعجمية في اللغة بمثابة حركة الاستمرار اي انهُ عمل قام به واضعوا اللغة انفسهم مضطرين اليه بسائق طبيعي من اول عهد الوضع · ثم اتصل بنا نحن وجرينا عليه · وليس هو مما حدث فينا أَو اصطلحنا عليه ولم يعرفهُ الواضعون الاولون · ويظهر هذا جلياً إِذا طبقناه على الامة نفسها وكيفية نشوئها ودخول الافراد في جنسيتها · ولنمهد لهُ أَولاً بمثال آخر :

في الجسم الانساني قوة طبيعية أَودعها فيه خالقهُ · وهي تمثّل وتحوّل دقائق المواد الغذائية الى دقائق حية يتكون منها

مجموع جسم الانسان الحي . ويحصل هذا التحوُّل في جميع أدوار حياة ذلك الجسم . فتمثيل دقيقة من دقائق جسم الشاب مثلاً ناشيءٌ عن ناموس اصلي مشت عليه أَصل العناصر التي تكوّن منها مجموع جسم ذلك الشاب عند أَول نشأَته وتخلّقه في صلب ابيه أَو رحم امه . ثم ان هذا الناموس يلازم الانسان في جميع أَدوار وجوده ويؤَثر تأْثيره فيه ما دام حيًّا .

تكون الجنس العربي

ونشوء لغته

ولنأْخذ الآن في بيان كيفية تكوّن الجنس العربي ونشوء لغته فنقول : اصطلح علماءُ اللغات على أَن يسموا المتكلمين باللغة العربية واخواتها ـ « الشعوب السامية » او « العائلة السامية » ويريدون بها طائفة من أَبناءِ نوح عليه السلام تبوّأَت البلاد الواقعة في غربي آسيا . واتخذتها مقرًّا لها . وقد انشعبت هذه

العائلة الى ثلاثة أقسام كبرى « آراميين » و« عبرانيين » و « عرب » . واختلف العلماء في تعيين مساكنهم الاصلية . والشائع بينهم أن الآراميين كانوا يسكنون في شمالي تلك البلاد . والعرب في جنوبيها . والعبرانيين ما بين ذلك .

هذه الاقسام او الشعوب الثلاثة هي الاصول الكبرى للعائلة السامية . وينطوي تحت تلك الاصول الفروع التي تنشعب منها : فالاشوريون والسريانيون والكلدانيون انشعبوا من الآراميين . والفينيقيون من العبرانيين . والحبش من العرب . وقد يكون بين شعبين من هذه الشعوب من التقارب والتجانس ما لا يكون بين أحدهما وسائر الشعوب الاخر: كالعرب والحبش: فانهما متقاربان جدًّا بدليل تقارب لغتيهما القديمتين . حتى ظُنَّ أن قد مر عليهما زمن كانتا فيه كلغة واحدة .

ولما انشعبت العائلة السامية بعد توحّدها — الى ثلاث شعب أو شعوب . انشعبت لغتها أيضًا الى شعب ثلاث تبعًا للانشعاب الجنسي . آرامية وعبرانية وعربية . ثم بدأ ناموس

« تنازع البقاء » واخوه « بقاء الاصلح » يعملان عملهما في تلك الشعوب السامية ولغاتها : فكانت الغلبة أوّلا للآراميين فانشأوا الدول · وفتحوا الممالك · وبلغوا من الحضارة والمدنية شأوًا لا تزال آثاره باقية فيما بين النهرين إلى اليوم · ونعني بذلك مملكتي بابل وأشور الشهيرتين ·

وفي أثناء ذلك ظهر الجنس العبراني : فجاب الفينيقيون الاقطار · وسلكوا أجواز البحار · وعلموا الناس الاسفار · وظهر الاسرائيليون في مصر وقام فيهم موسى صاحب الشريعة اليهودية صلوات الله عليه ·

وفي تلك الاثناء ظهرت للعرب دولة في اليمن من بني قحطان وهي مملكة سبأ ومأرب · ثم أصاب الساميين خمول وانحطاط عدة قرون حتى نهض العرب نهضتهم المقدسة الاخيرة فملأوا الارض فتحاً وديناً وعدلاً ولغةً وعلماً وحضارةً وادباً · وأخذت بقايا الجنسين الآخرين الارامي والعبراني تتضاءل أمام ذلك الجنس العربي النشيط · ولغتهما أمام لغته حتى حلّ جنس العرب ولغتهم محل ذينك الجنسين ولغتيهما · وتمّت

لها السيادة عليها ·

واللغة العربية شعبة أَصلية من شُعَب اللغة السامية · وقد ورث الفرع عن أَصله أَو البنت عن أُمها معظم خصائصها · وعامة مميزاتها · كما كان شأْن الجنس العربي المنشعب عن الاصل السامي ·

والمشهور أَن أَصل الجنس العربي « قحطان » وابنهُ « يعرب » · وان منشأً ذلك الجنس هو شبه جزيرة العرب أَو الجهة الجنوبية منها أَعني بلاد اليمن حيث كان يقطن قحطان ويعرب · وبديهي أَن قحطان ويعرب وقومهما كانوا يتكلمون باللغة السامية · لغة العائلة التي ينتمون اليها · وقد انحدروا من اصلابها حتى اذا استقر بهم المقام في اليمن · وامتزجوا بسكانها الذين يغلب عَلَى الظن انهم كانوا من أُمم حامية تختلف لغة وشكلاً عن قحطان وقومهِ — اقتبسوا كثيراً من كلمات هؤلاء السكان · واصطلاحات لغتهم · ثم أَثَّر فيهم ذلك الوسط او المحيط الجديد ومازهم عن أَصلهم السامي · وغيَّر من نطقهم · ولهجة لسانهم · على مدى الايام · وتعاقب العصور ·

ويذهب العرب الى أَن تأْثير الوسط في نطق يعرب ولهجتهِ

كان أشدَّ فيهِ منهُ في أبيهِ : فأَعرب الابن قبل الأَب · وأبان عما في نفسهِ · بعبارة ولهجة مخالفتين لعبارة ولهجة اللغة السامية الاصلية مما زعم العرب معهُ أَن لهجة يعرب الجديدة أَصرح وأَفصح من اللهجة القديمة · ولذلك سموه : « يعرب » فإِن الأَعراب في لغتهم الإِبانة والإِفصاح · وقد اصبحت لغة القحطانيين السامية الاصل بما تخللها من لغة جيرانهم الحاميين في اليمن او الزنوج في سواحل الحبشة وغيرهم — لغة جديدة في صيَغها وهيئاتها وليست جديدة في أُصولها وموادِّها · فان موادها وأُصولها هي مواد وأُصول لغتهما القديمة أَعني اللغة السامية · وكان نموُّ اللغة القحطانية الجديدة بطريق الاشتقاق في أَخصِّ الاحوال وبطريق اقتباس الكلمات الاعجمية أَعني التعريب في الاعمِّ الاغلب ·

وكما أَن قحطان وقومهُ لم يوجَدوا من العدم وانما انشعبوا من ذلك الاصل السامي الاعجمي كذلك لغتهم الجديدة لم تنزل على أَلسنتهم من السماء دفعة واحدة وانما احتملوها أَو احتملوا بذورها من أُمِّها السامية · ثم جعلت البنت تبتعد عن أُمها بما كان يعتورها من العوارض المذكورة حتى أَصبحت كأنها ليست من سُلالتها ولا من جنسها · ولو كانت اللغة السامية من

اللغات الحية لعهدنا هذا لما عددناها الآن من اللغات الاعجمية الاجنبية عن لغتنا العربية . وليس ذلك الانشعاب والتحوُّل من خصائص اللغة العربية وانما هو طبيعي في اللغات كافة . وها نحن اليوم نقول ان اللغة اللاتينية غير اللغات الطليانية والفرنساوية والاسبانيولية مع ان اللغة اللاتينية أُمُّ تلك اللغات الثلاث ومرجع أنسابها . ومنبت أدواحها .

وقد اعتاد العرب — ولا نبرئ غيرهم — أَن ينسبوا كل عمل عظيم الى رجل مشهور فيهم . فيذهبوا الى أَنهُ ابن بجدة ذلك العمل . وأَنهُ الذي أَوجده من العدم . وإن كان العمل في نفسهِ نتيجة مزاولة أَجيال متوالية . وكان مما ذهبوا اليهِ في شأن لغتهم العربية أَنها من مبتكرات جدهم يعرب بن قحطان ومن أَوضاعهِ ولذلك سموه يعرب : يريدون أَنهُ أَول من أَعرب في لغتهم وأَفصح عنها كما مرَّت الاشارة إِليهِ آنفاً .

ولو أَنصفوا لفسروا « يعرب » في هذا المقام — بقوم يعرب أَو قبيلتهِ التي كانت تعيش حيناً فحيناً من الدهر . ويحدث تحوُّل اللغة وتغيير أَساليبها بأَلسنتها رويداً رويداً . وكثيراً ما سميت القبيلة باسم جدها — لا يعرب نفسهُ : إِذ يبعد أَن تحول اللغة السامية

إلى لغـة عربية على لسان فرد من أفراد الساميين مهما طابت طينتهُ · وطالت حياتهُ · وانفسح مجالها لسوابق هممهِ · وخوارق مواهبهِ · ومحصّل القول أَن المسمى يعرب (قبيلة اوشخصاً) هو الذي غرس فسيلة اللغة العربية في اليمن · ومنهُ انبثّ الشعب العربي الذي كان مبدأُ ظهوره في ذلك القطر اليماني · ولذلك يكنّي العرب جدهم يعرب « أبا اليمن » باعتباره شخصاً لا قبيلة ·

وبقيت العربية منحصرة في سكان اليمن حتى طرأَت عليهم حادثة مأرب الشهيرة فتفرقوا في أَنحاء جزيرة العرب · وكان منهم قبيلة جرهم الذين سكنوا الحجاز · ونزل عليهم اسماعيل العبراني صلوات الله عليهِ · فصاهرهم ونشأَ من تلك المصاهرة قبيلة عدنان ثم مضر ثم قريش · وبنشوء هذه القبيلة نشأَت لغتها القرشية أَو المضرية التي هي بمثابة الاخت الصغرى للغة الحميرية أَو الفرع منها · وقد نما هذا الفرع وطال وامتدت شُعَبُهُ حتى تغَلَّب عَلَى أَصله ومحاه من لوح الوجود · كما فعل الأَصل نفسه بأَصله اعني اللغة السامية · ثم إن البيئة (الوسط) أَو القوة التي قلنا آنفاً إنها أَثَّرت في نفس قحطان وقومهِ وبدَّلت من لسانهم ولغتهم وحوَّلتها عن أَصلها الاعجمي ـ هي نفسها التي كانت تؤَثر في

نفوس أنسالهم العرب قحطانيين وعدنانيين : فكان هؤلاء يتلقفون الكلمات الاعجمية التي يسمعونها كلمة فكلمة . ويحوّلونها الى لغتهم العربية حيناً فحيناً . ويمثّلونها اليها كما تمثّل قوة الحياة في جسم الانسان دقائقَ العناصر وجواهرها الميتة الى دقائق حيّة . لها خصائص الاحياء . كما ذكرناه في المثال الذي مهّدنا به اولاً .

نموُّ اللغة بالدخيل

في جسم الانسان قوتا تحليل وتركيب : تندثر منه دقائق وتنحلُّ وتتلاشى . ويخلفها بواسطة الغذاء دقائق أُخرى تقوم مقامها في وظيفتها . وإذا لم تزد الدقائق الجديدة على الدقائق المندثرة بقي الجسم على حاله وحجمه . وإذا زادت كما في الاطفال كبر الجسم ونما وطال .

ومثل ذلك يقال في اللغة : تندثر منها ألفاظ غريبة وتموت كلمات حوشيّة : كالحوجم والزمخر والشمشق والسجلاّط

والدجر والحدج والناطس والمتك والتامورة والقتد والفرسك ·
ويخلفها غيرها من الكلمات الدخيلة الاعجمية كالورد (للحوجم)
والنسي (للزخر) والمردكوش (للشمشق) والياسمين (للسجلاط)
واللوبيا (للدجر) والبازنجان (للحدج) والجاسوس (للناطس)
والاترجّ (للمتك) والابريق (للتامورة) والخيار (للقتد)
والخوخ (للفرسك)· فاذا كثرت تلك الكلمات الدخيلة نَمَت
اللغة · وامتدت فروعها · واتسعت دائرة التخاطب بها ·
وإلاَّ بقيت واقفة أو تقاصت وماتت كما تموت الاجسام
التي تسوء تغذيتها · ويزيد فيها التحليل على التركيب · وقد
كان معجم اللغة الانكليزية من عهد غير بعيد يتضمن عشرين
ألف كلمة تقريباً · وهو الآن يناهز مائة الف كلمة · وفي هذه
الزيادة كثير من الكلمات الغريبة وقد دخلت على اللغة
الانكليزية من اللغات الأُخرى التي امتزجت انكلترا بالمتكلمين
بها · واستعمرت بلادهم · ولهذا ترى الانكليز يكتبون على معاجمهم
اللغوية انها «مجموع لغات» يشيرون الى أَن المعجم لم يتضمن

كلمات من لغتهم الانكليزية وحدها وإنما حُشِر فيه كلمات من لغات متعددة · فهو بهذه المثابة مجموع لغات لا معجم لغة · توسيع نطاق اللغة على هذه الصورة أمرٌ يُعنَى به عقلاء الامم وقادتها وفلاسفتها كما يُعنَوْنَ بتنمية أُممهم نفسها · وتكثير افرادها · بسبب نشر فنِّ الطب ومبادىء علم الصحة (الهيجين) تارة — وبالتجنُّس بالجنسية وإن شئت قلت بالتغلُّب والاستعمار تارةً أُخرى ·

وانظر كيف أَن حكومة اميركا تسهِّل التجنس في بلادها وتفتح أَبوابه لطالبيه حتى نمت الامة الاميركية وتكاثرت · فكم كان عددها منذ قرن وكم هو اليوم ؟ وهكذا الامم الراقية تمهِّد أَمام بقية الامم سبيل التجنس بجنسيتها · وتتوسل الى ذلك بمختلف الوسائل : حتى ان من وُلِد له ولد في سفينة إنكليزية كان لأَبيه أَن يعتبره لمجرد ذلك متجنساً بالجنسية الانكليزية ثم لا يجد من تقاليد انكلترا الا المصادقة على ذلك · وما يُدرينا أَن تكون حكمة حِلِّ استرقاق أَسرى الحروب في

الدين الاسلامي هي تجنيس اولئك الأَرِقَّاء بجنسية المسلمين؟ فيكون الاسترقاق ضرباً من ضروب التجنس . ووسيلةً من وسائل تنمية الامة . وتكثير سوادها . والحاصل أن بين تنمية أَفراد الأُمة وتنمية كلمات لغتها مشابهة وتماثلاً . وأَن عقلاء الامم وزعماءها حريصون على هذا حرصهم على ذاك .

أَنا اعرف أَن الغيور على لغته العربية . الكَلِف بحفظ حرمتها . والذود عن حياضها ـ قلما يعجبهُ قولي هذا بل ربما عجب من إِقدامي عليه . وعده مخرقة وعقوقاً للغة وإِساءة اليها . فهو لا تعجبهُ إِلا كلماتها الرشيقة . ولا تحلو في ذوقه الا نُغَيْتُها العذبة . لكنهُ إِذا لاحظ أَن اللغة العربية نفسها سلالة أُم أَعجمية كما شرحناه آنفاً . وأَن كلمات «الله» و«الرحمن» و«صلاة» مشتقات من أَصل سرياني او عبراني . وأَن «بسم الله الرحمن الرحيم» و «شمالا حارارحيما» من معدن واحد . وأَن «حكيم» و«حاخام» أَخوان . وأَن «جهنم» محوّلة عن «جى هنوم» (وادٍ خارج بيت المقدس كانت تلقى فيه القمامات) . وأَن سين العربية شين في الاعجمية :

فسلام شلام · ولسان لشان · وإسم إشم · ومسك مشك · ودست دشت · واسماعيل اشماعيل · ونيسابور نيشابور · وسعانين شعانين ـ من لاحظ كل هذا خفَّف من عجبه · وسكَّن من سَوْرة غضبهِ وعرف أَن التعريب في اللغة قوة كقوة التمثيل في الجسم الحي تجب العناية بها · ولا يحسن التفريطُ فيها ·

وأَخبرني بعضهم أَن اليهوديَّ يقول في تحيَّته لأَخيهِ « شالوم عليخيم » اي « سلام عليكم » فيجيبهُ الآخر بقوله « عليخيم شالوم »

وليس التعريب مما يشوِّه اللغة · أَو يحطُّ من قدرها · ومنزلتها بين اللغات الاخرى · بل ربما كان الامر على العكس من ذلك · اعتبره في اللغة التركية التي لا تستنكف أَن تضم اليها الكلمات الكثيرة من اللغات الاخرى · وكيف أَصبحت بسبب ذلك تضارع أَشهر اللغات الافرنجيــة في غزارة مادتها · وعذوبة تراكيبها · واتساع دائرة التخاطب بها · وقد قال كمال بك كاتب الترك الشهير : إِن مثل لغتنا وسائر اللغات كرجل دخل حديقة · فجعل يقطف من أَزاهرها ما يروقهُ · ويحلو في عينيه

حتى تألَّف لهُ من ذلك باقــة : كل زهرة من زهراتها حسن جميل ·

ولعلك تنكر بقاء اللغة العربية على عذوبتها ورشاقتها إذا كثر فيها الدخيل من اللغات الاعجمية · وتقول من أَين لتلك اللغات أَن يكون فيها الفاظ عذبة · وكلمات رشيقة · مثل ما في لغتنا العربية · ثم تستشهد على ذلك بقولك ورد · ناى · ياسمين · لوبيا · ابريق · مسك · الماس · يمّ · مشكاة · أَوج · لوز · نرجس · سندس · لجام · ترعة · ميزاب · دُرّيّ · بريد · صنم · خوخ · الى غير ذلك من الكلمــات التي تسيل رقةً كما سال بها كلام بلغاء العرب في الجاهلية والاسلام · ولم يخلُ منها كلام رب العالمين خالق اللغات والمتكلمين بها ·

وإذا قلت لك إن مرادف الورد هو الحوجم · والناى الزمخر · والياسمين السجلاَّط · واللوبيا الدجر · والابريق التامورة · والخوخ الفرسك ــ تقطع عليَّ الكلام وترجوني ان لا اخدش سمعك بالرطانة الاعجمية · وتقول انظر الى قدر الفرق بين الورد والحوجم · والناى والزمخر · والياسمين والسجلاط · واللوبياء والدجر · والابريق والتامورة · والخوخ والفرسك

وكيف أن الاوليات خفيفة على السمع . ترشفها النفس كما ترشف الصهباء ؟ وكيف أن الاخيرات ثقيلة حوشية . تنبو عنها الاذن ويمجها الذوق . تقول ذلك وأنت تحسب أن الورد . والناى . والياسمين . واللوبيا . والابريق . والخوخ – عربيات . وان الجوهر . والزمخر . والسجلاط . والدجر . والتامورة . والفرسك أعجميات حتى إذا عرفت أن الامر على العكس أدركك العجب وتساءلت عن السبب

اسأل الحكومة المصرية لماذا تستعمل الاجانب في بعض وظائفها مع وجود وطنيين ربما صلحوا لتلك الوظائف ؟ — تجبك بأن الاجنبي أصلح لهذه الوظائف . أو أن لي في توظيفه غرضاً لست ملزماً بالافصاح عنهُ . ثم تقول الحكومة : يكفيك أيها الغيور على بلادك ان استعمال بعض الاجانب في وظائفها لا يمسخها . ولا يجعل الحكومة أجنبية . ولا يضرُّ الوطنيين بل ربما كان امتزاج اولئك الموظفين الاجانب بهم مفيداً لهم . وعاملاً على ترقيتهم وتدريبهم . وبمثل ذلك تعتذر الحكومة العثمانية وسائر الدول التي تستخدم في مصالحها رجالاً من غير أبنائها . وكذلك كان الشأن في الدولتين الاموية والعباسية . حتى إن أبا

موسى الاشعري نفسه اعتذر بمثل ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين عاتبهُ على توظيف كاتب ذمّي لبيت مال البصرة

وهكذا يعتذر أئمة اللغة وبلغاؤها وكتابها وشعراؤها عن استعمال الكلمات الاعجمية في منظومهم ومنثورهم وإهمال الكلمات العربية التي كان يمكن أن تخلف تلك احياناً ·

وظيفة التعريب

استعمال الكلمات الاعجمية كاستعمال العُمَّال الاعاجم في أنَّ كلاً منهما قد تقضيه المصلحة · وتدعو إليه الاحوال · ولكن الرأْي في استعمال اولئك العمال الاعاجم من خصائص فرد واحد في الامة وهو ملكها · أَو أَفراد معدودين منها فيما إذا كانت دستورية · ولمن يكون الرأْي في استعمال الكلمات الاعجمية ؟ ومن هو الذي يصح لهُ أَن يقوم بوظيفة التعريب ؟

قولهم في تعريف التعريب — أَن نتكلم العرب بالكلمة الاعجمية – يدل على أَنهُ لا يشترط في التعريب أَن يحصل على لسان طبقة خاصة من العرب أَو رجال معيَّنين منهم · بل هو

أَمر شائع بينهم . يتناولهُ كل فرد فيهم . ولو قلت إِن التعريب من وظائف عامة العرب وذوي التجارات والصنائع منهم — لا خاصتّهم وذوي الشأْن والنباهة فيهم — لما كنت مجازفاً أو مباعداً .

انظر الى الكلمات الاعجمية التي تنهـال على لغتنا في هذه الاعصر المتأَخرة تجد معظمها دخل عليها بواسطة التجار الذين يعاملون الاعاجم والمستبضعين الذين يجلبون سلعهم وبضائِعهم من البلاد الاجنبية :

المستبضع الذي يجلب لنا الثوب أَو الماعون أَو الأَداة أَو الآلة أَو أَية مادة كانت — هو نفسهُ الذي يجلب لنا اسمها معها : فترى أَيدينا تتناول المسميات . وأَلسنتنا تتداول الاسماء الدالة عليها . وبديهي أَن ذلك المستبضع لم يكن من حَمَلَة اللغة العربية . ولا من حفَّاظها أَو نُقَّادها . وانما هو في غالب الامر عامي يحفظ اسم البضاعة كما يسمعهُ من القومسيونجية (الوسطاء في جلب البضائع من معاملها) أَو معامليهِ الأَعاجم . ثم ينقله

الينا ويشيع بيننا بالصيغة التي نطق بها لأول مرة ·

وإذا أُتيح أن يكون لنا مجمع لغوي ينظر في الكلمات الدخيلة الاعجمية ويدوّنها ـ كان عليهِ أن يرسل إلى عمال سكة الحديد ومديري أشغالها من يستفهم منهم عن اسم كل أداة أو آلة أو أي شيء مما يتعلق بالسكك الحديدية وسيرها وخطوطها ومستخدميها وعامة شؤونها ثم يُدوِّنُ كل ذلك ويُثبت في كتب اللغة كما قد أُثبتت سائر كلماتها العربية والمعرَّبة المنقولة عن العرب أنفسهم ·

وإن لم نرجع في هذه الكلمات الدخيلة الجديدة الى أصحاب الشأن أنفسهم بل رجعنا إلى مواضعات الخاصة ـ تعددت الاسماء· واضطرب أمر اللغة · وكانت العاقبة فشلاً ·

وكما نرجع الى عمَّال سكك الحديد في تعرّف مصطلحاتهم نرجع الى باعة الاقمشة والاثاث والماعون وأدوات الزينة والاستصباح والطب والهندسة والصناعة والزراعة وسائر شؤون الحياة ومرافق المعيشة التي اتسعت دائرتها بيننا في هذه الازمنة بسبب مخالطتنا للافرنج واقتباسنا الحضارة وأساليب المعيشة

الجديدة عنهم · فنأخذ عن كل قوم الاسماء التي عرَّبوها وتواطئوا على استعمالها · وشأن التعريب في زمن بداوة اللغة العربية هو شأنهُ في هذه الاعصر على ما وصفناه لك من حيث حصوله على أَلسنة التجار والمستبضعين · لا على أَلسنة الشعراء أَو الخطباء المفوهين : فاصحاب المعلقات مثلاً كانوا يسمعون خلطاءهم يتكلمون بكلمات اعجمية اتصل معظمها بهم من التجار الذين أَلفوا رحلات الشتاء والصيف الى بلاد الروم والفرس وغيرها · فاستبضعوا المسميات باسمائها · وجلبوها معاً الى جزيرتهم · ثم استعمل اصحاب المعلقات وسائر البلغاء تلك الكلمات في كلامهم من دون نكير · ومن دون أَن يعاب ذلك الكلام فينزل عن درجة فصاحته وبلاغته

معرَّبات القران

ولما أُنزل القرآن ـ وهو المعجز ـ تضمَّن كثيراً من تلك الكلمات الاعجمية التي أَدخلها عامّة العرب مع بضائعهم وصقلها بلغاؤهم وشعراؤهم بأَلسنتهم · حتى أَصبحت بذلك فصيحة

كسائر فصيح كلامهم. ولم ينزل بها القرآن عن درجة بلاغته ولم تفارقه مزيّة إعجازه : فكان فيه من الفارسية أَباريق . وسِجّيل. واستبرق. ومن الرومية قسطاس. وصراط. وشيطان. وإبليس. ومن الحبشية أَرائك. وجبت . ودُرّيّ . وكِفْلين. ومن السريانية سرادق . ويم. وطور. وربَّانيُّون. ومن الزنجية حَصَب . وسَرِيّ . ومن العبرانية فُوم . ومن التركية القديمة غسَّاق . ومن الهندية مشكاة (للكوة التي لا تنفذ) . ومن القبطية هَيْتَ لك . وليس هذا كل ما في القرآن من الكلمات الاعجمية بل إن فيه كثيرًا منها . وقد تتبعها السيوطي فبلغت زهاء مئة كلمة . وها نحن ننقل عنه ما لم يسبق لنا ذكره منها مجرّدًا عن الشروح التي علقّها عليها . اللهم إلاَّ ما كان في ذكره فائدة : أَبًّا . إِبْلَعِي . أَخْلَدَ . أَسباط . أَسفار . إِصرِي . أَكواب . إِنَاه . أَوّاه . أَوَّاب. أَوِّبي . بعير (في قوله تعالى ونزداد كيل بعير . وهو الحمار أَو الدابة في اللغة العبرانية) بطائنها . بِيَع . تنور. تتبيرًا . تحتها (في قوله تعالى فناداها

من تحتها أي بطنها في اللغة النبطية) · جهنم · حِطَّة · حواريون · حُوبًا · دارَسْتَ · دينار · راعِنا · رِبِّيُّون · الرحمن (وهو عبراني · وأصله الرخمن بالخاء المعجمة · أقول ولم يذكروا الرحيم ويبعد أن لا تكون مثلها وهي أُختها) · الرَسّ · الرقيم · رَمْزًا · رَهْوًا · الروم · زنجبيل · السِّجِلّ · سِجِّين · سَفَرَة · سَقَر · سُجَّدًا · سَكَرًا (هو الخل) سلسبيلا · سندس · سَنَا · مُنِيِّدها (في قوله تعالى وأَلفيا سيدها لدى الباب أَي زوجها في اللغة القبطية) سِينِين · سِينَاء · شَطْر · شهر · صُرْهُنَّ (قَطِّعْهُنَّ في اللغة الرومية او النبطية) صَلَوَات (هي الكنائس) طه · طاغوت · طَفِقَا · طُوبَى · طُوَى · عَبَّدْتَ (قتلت في العبرانية أَو السريانية) العَرِم · غِيض (نقص) · فردوس · قراطيس · قسط · قسورة · قِطَّنا · قنطار · قَيُّوم · كافور · كَفِّرْ عنا · كُوِّرَتْ (فارسية) لِينة · مُتَّكَأً (الاترج بالحبشية) مجوس · مرجان · مسك · مقاليد · مرقوم · مُزْجَاة · ملكوت · مناص (فرار بالنبطية) مِنْسَأَة · منفطِر · مُهْل (عكر الزيت) ناشئة (قيام

الليل بالحبشية) هُدْنَا · هَوْنا (أَي حكماء في اللغة السريانية) وَرْدَةً · وَزَر · ياقوت · يَحُور · ياسين (إِنسان) يصدُّون (يضجون في الحبشية) · اليهود · انتهى ما أَردنا نقله عن السيوطي

واسم مصحف الذي سمى به القرآن نفسه معرب عن اللغة الحبشية · وهو مشتق من (صَحَف) ومعناها بالحبشية كتب ·

ومن الغريب أَن كلمة (القاموس) التي سمى بها الفيروزابادي معجمه الشهير في متن اللغة العربية وتقييد أَوابدها ـ هي أَعجمية معربة · ومعنى القاموس البحر أَو معظم مائه

وقد حاول بعضهم أَن ينفي وقوع الاعجمي في القرآن ذهابًا إِلى أَن وقوعه فيهِ ينفي كونه عربيًا وقد قال تعالى انه عربي · لكن قول هذا البعض أَصبح مغمورًا بأَقوال جِلَّة العلماء · وكبار الباحثين · وقد استدلوا على الوقوع بأَدلَّة كثيرة : منها ما أَخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أَبي ميسرة التابعي الجليل قال « في القرآن من كل لسان »

وقال آخر لما حوى القرآن علوم الاولين والآخرين · ونبأ

كل شيءٍ · فلابد أَن تقع فيهِ الاشارة إِلى أَنواع اللغات والالسن لتتم إِحاطتهُ بكل شيءٍ · فاختير لهُ من كل لغة أَعذبها وأَخفها وأَكثرها استعمالاً للعرب · ويشبهُ هذا القول في القرآن مانقلناه آنفاً عن كمال بك كاتب الترك من قوله في لغتهِ التركية الحديثة إِنهم اختاروا لها من كل لغة أَعذب كلماتها وخيرة أَلفاظها ·

طائفة من المعرَّبات

كانت الامة العربية لاول عهدها منحطة في التجارة والزراعة والصناعة متأَخرة في فنون العلم وضروب العرفان · وكادت تكون تكاليف حياتها ومطالب معيشتها منحصرة في شؤُون معينة · وأَطوار خاصة: أَشهرها الحروب وأَدواتها · والفيافي وحيواناتها · والأَنعام وشياتها · والنساء وصفاتها · فيما يقرب من ذلك ويطوف حواليهِ · وإِذا أَرادوا الزائد عليهِ: من شأْن علمي أَو زراعي أَو صناعي أَو كان من أَدوات الترف والزينة ولم يجدوا له اسماً في لغتهم · ولم يعرفوه فيما كانوا عليهِ من نوع مدنيتهم — تناولوا اسمهُ من لغات الامم المطيفة بهم العريقة في المدنيَّة

ومقوّماتها · والحضارة وشؤوناتها

وأَشهر تلك الامم لذلك العهد الفرس والروم · ولذلك كان في كلام العرب كثير من الاسماء الفارسية والرومية التي كانوا يستكثرون من جلب مسمَّياتها الى جزيرتهم من بلاد تينكم الامتين : كضروب الرياش والاثاث والثياب · وصنوف البقول والاثمار والرياحين · وأَنواع الماعون والخرثيّ والمصنوعات والادوات · مما لم تساعدهم درجة عمرانهم على إِحداثهِ أَو صنعهِ في بلادهم · وقد اضطروا إِلى اقتباسهِ وجلبهِ من جيرانهم للانتفاع بهِ

ثم كثر هذا الاقتباس · وانفسحت دائرتهُ بعد الفتح الاسلامي · وامتزاج الامم عامةً والامتين المذكورتين خاصةً بالامة العربية · وتناول هذه منهم عن كثَبٍ معظمَ مقوِّمات حضارتها · ومرافق معيشتها ·

ولا يمكن استقصاء تلك الكلمات التي دخلت على اللغة العربية في الجاهلية والاسلام : وذلك لكثرتها · ووفرة حصاها وإِنما نحن هنا نأتي على ذكر طائفة منها · مما لا يخلو كلام بليغ منهُ · ويكون كافياً في الدلالة علَى أَنَّ منزلة المعرَّب في نظر أَسلافنا

وبالنسبة لفصيح اللغة ـ فوق ما نحن ظانُّون :

« الحيوانات » جاموس · سمرمر · بط · باشق · برذون · هملاج · حرذون · أَنكليس · مارماهى (وهما اسمان لحيوان مائي كالحية · وعربيته جرِّيث · ويقولون اليوم جِرِّي) · حرباء · بُخْتي · سوذنيق · (وهو الشاهين) · فيل (معرب پيل بالباء الفارسية كذا قال لي بعض علماء الفرس · والباء الفارسية تحوَّل في المعرب إلى فاء : نحو فلفل أَصلهُ پلپل وفنجان أَصلهُ پنكان)

«النباتات والرياحين» بازنجان · لوبياء (وعربيته الدّجر واللياء) ماش · توت · (وعربيته فرصاد) خوخ (وعربيته الفِرسك) خيار (وعربيته قتد) · دراقن · كمثرى · أَجاص · أُترجّ (وعربيتهُ المتك) · أَرزّ · نارنج · ليمون · بندق · قصطل (معرب عن كستانه · وهو المسمى في مصر أَبو فروه) أشنان · نارجيل · مقدونس · كزبرة (وعربيتهُ نقدة) · فلفل · جوز · لوز · ورد · نرجس · نسرين · نيلوفر · سوسن · قرنفل · بنفسج · جلّنار · مردكوش (أَو مرزنجوش وعربيته شمشق) سذاب · ياسمين

(وعربيته سجلاَّط بتشديد اللام : يقال طيلسان سجلاَّطي أي أبيض كالياسمين • والطيلسان أيضاً معرب) • كَبَر (وعربيته لصف)

« العقاقير » إهليلج • قرفة • كراويا • مصطكا • زاج • أَرجوان • قرمز

« المأكول » • كعك • نشا • سميد • سكَّر • قَنْد • فانيذ • طَبَرْزَد (والثلاثة من أنواع السكَّر) • عجة • كباب • جَرْدَق • سكباج • (لحم يطبخ بخل) لقانق (هو المسمى سجوق) • فالوذج • لوزينج • كامخ • تابل • (وعربيته الفحا)

« المشروب » • جلاب • بازق • إسفنط • خندريس •

« الطيوب » مسك • عنبر • صندل • نوافج المسك •

« اللبوس » • قميص • سراويل • تكّة • برنس • طيلسان • سمَّور • سنجاب • قرطق • جورب • جرموق • سرموزة • خوذة • تبَّان • زنار • هميان • شاش • كرباس • ديباج • مرعزَّى • إبريسم • قزّ • خزّ • دروز الثوب • قونس (بيضة الحديد)

« المعادن » · توتياء · رصاص (وعربيتهُ صرَفان) · زئبق · بورق · مغنطيس · جصّ · زرنيخ · اسفيداج · سنبادج · إبريز · درهم · دينار · دانق ·

« الاحجار الكريمة » · جوهر · ألماس · بهرمان · زمرد · ياقوت · فيروز · زبرجد · بادزهر · بلور · مشخَلَب ·

« الآلات » · أسطرلاب · طرجهاره (آلة مائية) بنكام (ما تقدر بهِ الساعة النجومية من الرمل) قبَّان · السترّ · الزيج (وكلاهما خيط البنَّاء: تقول لمن تهدده لأُقيمنَّك على الترِّ · واسمهُ في العربية إمام ومطمر) بركار · بوتقة · جلاهق · منجنيق ·

« آلات الطرب » · موسيقى · قانون · ناي · بربط · جنك · طنبور · أُرغن · صنج ·

« الأدوات والماعون » · قمقم · هاون (وعربيتهُ منحاز ومهراس) · طست · طبَق · قصعة · سكرّجة (إناء صغير أكثر ما يوضع فيهِ الكوامخ أي المشهيَات · وعربيته ثقوة) · دورق · كوز · جرّة · فنجان · باطية (عربيتها ناجود) · لجام · خوان ·

سكردان (الخزانة) دولاب · بقجة · شنطة (عربيتها العيبة) برذعة · شطرنج · طاجن · (وعربيته مقلى) مترس الباب (وعربيته شجار) · سجنجل (وعربيته مرآة ووذيلة) · صولجان (وعربيته طبطابة وميجار) · تخت · طنفسة · خلقين · بشكير · ميزاب (وعربيته المثعب)

« الكلمات العلمية والفنيَّة » أُستاذ · جهبذ · تلميذ · كيمياء · هيولي · كيموس · برسام · مارستان · نقرس · قولنج · ماليخوليا · ترياق · فلسفة · سفسطة · طقس · إقليم أُسطول · طلسم · نموذج · فهرست · تاريخ · فدَّان · فرسخ · بريد · قانون · كيوان · إفريز · سفتجة · كاغد · بطاقة · مهرق (خرق تصقل ويكتب عليها) صكّ ·

« الكلمات الدينية » · إبليس · شيطان · صنم · فردوس · مصحف · إنجيل · توراة · كهنوت · أَبرشية · عنصرة · قسّيس · شدياق · أَسقف · شماس · مطران · خوري · معمودية · كنيسة · دير · مجوس · زنديق · نفاق · (وهو بالحبشية

البدعة أَو الضلالة) · نوروز · مهرجان ·

« كلمات شتى » طراز · قنطرة · قنطار · أُسطوانة · أَوج · ترعة · إِصطبل · كوسج (وعربيته أَثَطّ) بِطْريق · (القائد من قوَّاد الروم) سرقين · بستان · إِيوان · ديوان · درابزين · البند (وهو العلم) جاسوس · (وعربيته الناطس) عسكر · خوْر (وهو الخليج) · عربون · قاموس (البحر) · تنّور · بخت (بمعنى الحظ) · ناطور · دهقان (شيخ القرية) كانون · شباط · آذار (إِلى آخر أَسماء الأَشهر الرومية الاثني عشر · وهي معرّبة عن السريانية) · صهريج · ساباط · دهليز · سرداب · قمّس (كسكَّر الشريف) · فنزج (ضرب من رقص المجوس معرب بنجكان) · قرصان (من الاسبانية) · بهرج · فرند · خندق (وأَصله كنده أَي محفور) قيروان (القافلة أَو الجماعة) آجرّ · خورنق (موضع الأَكل والشرب معرب خورنكاه) · ميناء · نوتي · ليمان · بلاَّن · جوسق (ويقال له اليوم كشك معرب عن الفارسية) · حانوت · برشان ·

« كلمات مشكوك في عربيتها » آس . ندّ . سلّة . مشمش قطّ . فرن . قصف (اللهو واللعب) . وقد رأينا لبعض الفضلاء المعاصرين كلاماً نفيساً في تحقيق بعض الكلمات المعربة وإرجاعها الى اللغة التي نقلت عنها مما لم يعرفهُ المتقدمون أو حسبوا أنهُ معرَّب من لغة أُخرى . وإنا نلخص من كلامه ما تتم به الفائدة : (منبر) معرب وبر بالحبشية ومعناه فيها كرسي أو مجلس أو عرش (حواري) بالحبشية رسول (برهان) بالحبشية نور . وبره اتضح أو أنار . (عنبسة) اسم للاسد بالحبشية . وقد سمى به العرب أولادهم . و (الحج) و (الكاهن) و (عاشوراء) معربات عن العبرانية . وهناك كثير من الكلمات عُرّبت من اللغة الهندية السنسكريتيّة وقد تساهل المتقدمون فزعموا انها فارسية الاصل : وهي (مسك) معرَّب مشكا و (كافور) معرب كابور و (فلفل) اصلهُ فيفالا أو پيپالا و (شطرنج) معربة من (شتورنكا) أي الاجزاء الاربعة التي يتألف منها الجيش عند الهنود وهي الافراس والافيال والمركبات والمشاة . و (جاموس) معرب من جاوميشا . ومعناه البقرة الكاذبة . وكذا (الزنجبيل) و (القرنفل) معرَّبتان عن اللغة الهندية لان بلاد الهند منبتهما . وهكذا كلما

أغلق علينا نسب كلمة نبحث عن معناها في أي بلاد صنع ذلك المعنى أو استنبط أو اخترع فنعرف إذ ذاك أن اللفظ الذي وضع له هو من لغة أهل تلك البلاد . وكلمات (صبح) و (بهاء) و(ضياء) و (سفينة) هي من اللغة السنسكريتية في غالب الظن .

ومما عرب عن اللغة الفارسية كلمات (خشاف) واصله خوش آب . و (بابوج) اصله پاپوش – (پا) قدم و (پوش) ستر . اقول ومثله (طربوش) معناه ساتر الاعلا فان معنى (طار) الاعلا . و (سربوش) معناه ساتر الرأس .

قال و (سراب) اصلها سيرآب أي مملوء ماء . أقول او أن اصله (سرآب) اي رأس الماء . وهو النبع : فان السائر في البيداء يحسب السراب عن بعد نبعاً يترقرق ماؤه .

قال : و (زمهرير) معرَّب من زم أَريز أَسي ضباب بارد و (جزاف) من كزاف وهو عبث الكلام . و (ضنك) من تنك بمعنى ضيق . و (تباشير) معناها مثل اللبن . ثم جعل الفرس يكنون بها عن الصبح . واستعملها العرب في أوائل كل شيء . وكلمة (الوزير) من اصل فارسي بهلوي ايضاً .

ومما عرب من اللغة الهيروغليفية وهي المصرية القديمة – كلمة

(قبس) اصلها خبس اي مصباح و (نبيّ) معناها رئيس العائلة او المنزل ·

ومما عرّب من اللاتينية كلمة (بلاط) ومعناها قصر الملك واصلها بالاتيم (Palatium)

ومن اليونانية كلمة (قلم) واصلها كالاموس (Kalamos)

ولقائل أَن يقول ان كلمتي (بلاط) و (قلم) مثلاً عربيتان وقد أَخذهما من العربية المتكلمون باللاتينية واليونانية · لا أَن العرب أَخذوهما من تينك اللغتين · ولا يبعد ان تكون بلاط وقلم وامثالها مما وضعهُ العرب وغيرهم · فهو من قبيل توارد اللغتين واشتراك اهلهما في استعمال كلمة ابتداءً من غير أَن يأْخذ احدهما عن الآخر

قال : وكلمات (شتاء) (شهر) (لحم) (ملح) (أَبّ) وهو الكلأُ (عنب) (ثلج) (عبد) (مرءٌ) (بعل) (هُبَل) (شعر) المنظوم (ألوكة) (سورة) (ورق) (يرقان) — كلها ترجع الى اصول سريانية أَو عبرانية · وكذا أَفعال (كتب) (سطر) (طبخ) (أَرّخ) · وأَن هذه الأَخيرة معربة من (يرح) ومعناه الشهر في اللغة السامية ·

ومن المعرب كلمات القباء الجبة الجزية حبر آمين توبة

جبروت تسبيح سبط سِفر طوفان فِصح غَفَّارة قدَّاس قربان قيامة ناقوس نياحة طاغوت طوبى زيزفون سقمونيا بابونج بنج خيارشمبر راتينج زرجون شيرج سرسام قيراط انبيق اسطقس جنزار ٠

أَما الكلمات الافرنجية التي دخلت الى اللغة العربية في هذه الازمنة المتأَخرة فكثيرة جدًّا لا يحصيها عدٌّ ٠ وانما نشير اليها بقليل مماذكره ذلك الفاضل : (قرش)معرَّب (Groschen) (باره) (سرايه) (قنصل) (بوليس) (بوسطه) (اسكله) (بورصه) (بنك) (كمرك :) الخ الخ انتهى

هذا مثال من المعربات مما لا يكاد يخلو منه كتاب أَو خطاب ٠ وأَما الإِحاطة بهافلا تتأَتى لنا إِلا إِذا أَردنا أَن نفرد لها معجماً خاصاً ٠ ومن تصفح كتب اللغة ومعاجم متونها لحقه الدهش من كثرة تلك المعربات وانسيابها في أَحناء لغتنا وتضاعيف كلام أُدبائنا وشعرائنا ٠

وأَرى أَن معظم هذه الكلمات التي سردناها قد عرَّبه العامة والتجار وأَرباب الصنائع والمستبضعون الذين يضربون في البلاد

ويمتزجون بالامم • أما اسطرلاب • كيوان • بنكام • كيموس • برسام • ترياق • فلسفة . طلسم • كيميا وأمثالها فقد دخل إلى اللغة العربية في القرون الاسلامية السالفة كما دخل اليها في هذا العصر كلمات التلغراف والتلفون والفونوغراف والتيفوئيد والمالاريا والميكروب والتلسكوب ونحوها مما جاء نا به نقلة العلوم العصرية لهذا العهد ولم يروا مندوحة من تعريبه •

والكلمات العلمية القديمة التي ذكرنا آنفاً نموذجاً منها قد نقلها إلى لغتنا الذين اشتغلوا في ترجمة العلوم والفنون عن لغاتها الاصلية كاليونانية • لاسيما ما كان من ذلك في زمن النهضة العباسية أو المأمونية حينما عقدت المجامع • وأُنشئت دور الحكمة • فصار يؤمها كبار العلماء لاجل النظر فيما ينقلهُ أُولئك المترجمون من الكلمات الاعجمية ونقدها وتدوينها • وبذلك انتظم أمر تلك العلوم • واتحدت طريقتها بين أربابها والمشتغلين فيها • وهذا ما نصبو إليهِ في هذه الأيام • ونحسبه من أكبر دواعي تقدمنا • واتساع نطاق لغتنا • وانتشار العلوم على أنواعها فيما بيننا

شرط التعريب

قلنا أوّلاً ان حد التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية . والعرب لم يكونوا يخالطون الاعاجم كما نخالطهم نحن لهذا العهد . ولم يكونوا يعرفون من لغاتهم كما نعرف منها نحن . لذلك كانت ألسنتهم غير ممرّنة على النطق بالكلمات الاعجمية . واسماعهم غير مستأنسة بلهجتها ونغمتها استئناسنا نحن بهما . فمن ثمّ كانوا إذا عربوا كلمة أفرغوها في قوالب كلماتهم العربية . وردّوها إلى صيغها وأوزانها . إلاّ ما ندر .

من ذلك النادر كلمات خراسان وابراهيم وإطريفل واهليلج وإبريسم وآجرّ وشطرنج بفتح الشين . فانه لا يوجد في الاوزان العربيــة فَعَالان وإفعاليل وإفعيلل وفاعُلّ وفَعْلَلّ . وكانوا مع ذلك ينطقون بتلك الكلمات المغايرة لاوزانهم . ولا يتحرّجون من تكرارها في كلامهم .

قالوا خراسان أقصى ما يُراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

ووردت كلمة ابراهيم العبرانية في القرآن الكريم مرات

عديدة . وبهذه المناسبة نقول ان ابليس اليونانية ذكرت في القرآن تسع مرات . وشيطان اليونانية ايضاً ذكرت اثنين وخمسين مرة .

ولما رأى الجوهري ان العرب قلما يعربون كلمة ما لم يردوها الى كلمة توازنها في لغتهم جعل ذلك شرطاً في التعريب وفي صحة اطلاق « المعرَّب » على الكلمة المنقولة الى العربية . وزاد في تعريف التعريب قيداً فقال « أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية على نهجها وأسلوبها » فقوله على نهجها واسلوبها ناظر فيه الى ماقلناه . وهذا ما عناه المرحوم جمال الدين الافغاني بقوله: اذا اردنا استعمال كلمة أعجميه في اللغة العربية فما علينا الا أن نلبسها مشلحاً وعقالاً فتصبح عربية . وقد أراد بالمشلح والعقال ما أراده الجوهري بالنهج والاسلوب . وتبع الحريريُّ الجوهريَّ في زيادة هذا القيد حتى قال في كتابه درة الغواص ان فتح الشين من شطرنج خطأ والصواب كسرها لتصير على وزان قِرطَعْب وجِردَحْل

ولا يمنع الجوهري والحريري ورود مثل خراسان واهليلج وآجرّ في كلام العرب وانما يمنعان جريان التعريب فيه واطلاق اسم المعرب عليه فهما وأشباههما يقولون ان خراسان واخواتها

كلمات أعجمية وردت في كلام العرب وليست معربة إلى لغتهم فالكلمات التي تنطق بها العرب في اعتبار هؤلاء ثلاث مراتب: عربية ومعرَّبة واعجمية . أما سيبويه وجمهور أهل اللغة فقد ذهبوا إلى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقاً: فهم تارة يلحقونها بابنية كلامهم كدرهم وزبرج . وطوراً لا يلحقونها بها كابراهيم وآجرّ وشطرنج (بفتح الشين) وابريسم . ومن هذا القبيل «سمندو» و«قمندو» اسمان اعجميان لمدينتين: فان العرب عربوهما ونطقوا بهما بواوهما الساكنة في آخرهما كما هما في الاعجمية . مع أنهُ لم يوجد في أوزان كلامهم إسم على هذا المثال قط: أي بواو ساكنة في الآخر . فرتب الكلم إذن عند سيبويه ثنتان: عربية ومعربة . ومدار التعريب عنده على الاستعمال وحده . وقد ذهب مذهبهُ عامة أهل اللغة . فصرحوا بانهُ لا يلزم في المعربات أن تجري على أمثلة الاوزان العربية . بل إن جاءت فحسن لتكون مع إقحامها على العربية شبيهة باوزانها .

وقد يتفق أن تُغيّر العرب الاسماء الاعجمية التي تُعرّبها تغييراً لا يكون معهُ إلحاق بأوزانها ومناهج كلامها: كقول الأعشى « وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه » أصل الكلمة

« شاهان شاه » أي ملك الملوك · فقد حذف منها الالفين الاولين حتى صارت شهنشاه · و بقيت بعد هذا التغيير غير منطبقة على وزن من أوزان العرب · قد يقال إن مذهب سيبويه هذا أرفق باللغة والمتكلمين بها · وأعون على حياتها · واتساع دائرتها · لاسيما زمنا كزمننا هذا : انتشرت فيه اللغات الاعجمية بيننا · ومرنت على النطق بكلماتها ألسنتنا · ولا مجامع لغوية لدينا تعتني بنقد تلك الكلمات وردها الى أبنية عربية · وأمرنا في التعريب على العكس من أمر العرب : هم كانوا قلما يبقون الكلمة الاعجمية على هيئتها الاصلية ونحن قلما نحولها إلى أوزان لغتنا : فتلغراف وتلفون وفونوغراف وأوتوموبيل وتياترو وسنتاموغراف وبروجرام في كثير من نظائرها نكاد ننطق بها كما أنزلت على لسان أهلها وتسمى معربة · ويسمى استعمالنا لها — وإن لم نغيرها أو نلحقها — تعريباً على ما ذهب إليه سيبويه ·

وكان سيبويه وأشياعه نظروا الينا وإلى ما يطرأ على لغتنا بعين الغيب : فلم يشترطوا في التعريب سوى الاستعمال · ولو اشترطوا فيه تغيير الكلمة وإلحاقها باوزاننا — لضقنا ذرعاً بتلك الكلمات الاعجمية الكثيرة التي تنهال على لغتنا أيما انهيال · وليس

لنا من العناية وانشاء المجامع ما يقوم بهذا الشرط ويفيه حقهُ ·
فنكون اذن في اعتبار اولئك الجهابذة المشترطين — أَعاجم نتكلم الطمطانية · ونتراطن بلغتنا تراطنا

على أَننا مهما استحسنا رأْي سيبويه في عدم اشتراطه رد الكلمة المعرَّبة إِلى مناهج اللغة وأَوزانها — ينبغي أَن نقف في ذلك عند حد محدود · وإِلاَّ تكاثرت الكلمات الاعجمية ذات الاوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى · وخرجت على تمادي الايام بذلك عن صورتها وشكلها · وعادت لغة خلاسية : لا عربية ولا أَعجمية · كاللغة المالطية · أَو كسائر اللغات العربية العامية · في مختلف الاقطار الاسلامية · فكم نحن إِذن في حاجة إِلى مجمع لغوي يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها وينتشلها من هذه الهوَّة التي نخشى أَن تواقعها ·

التعريب قياسي

ذكرنا في بحث الاشتقاق أنه مما استأثر بهِ أهل اللغة : فان لهم وحدهم أن يشتقوا كلمة من أخرى . وليس لغيرهم أن يفعل فعلهم بحيث تعدُّ كلمتهُ التي اشتقها عربية فصيحة . ونقلنا قول ابن فارس في ذلك . ولكنني لم أعثر على رأي للعلماء في التعريب . وانه هل هو كالاشتقاق مما استأثر به العرب : فلهم وحدهم أن يعربوا الكلمات الاعجمية . ويجعلوها في عداد كلمهم . ويكون التعريب سماعياً كالاشتقاق ؟ أو هو قياسيّ : فيجوز لأيٍّ كان ولو من المحدثين أن يتناول كلمة أعجمية فيعرّبها ويستعملها في كلامه العربي ؟

الظاهر الثاني بدليل كثرة الكلمات الاعجمية التي نقلت إلى اللغة العربية في الصدر الاول الاسلامي . واستعملها أهلوه في منثورهم ومنظومهم بلا نكير . ناهيك ما كان من المأمون وعنايته فيما كان ينقله العلماء والمترجمون إلى اللغة العربية من كلمات الاعاجم

في العلم والفلسفة ومختلف الفنون الطبية والكيماوية والطبيعية على أن هناك فرقاً عظيماً بين الاشتقاق والتعريب من حيث أن الثاني ـ ونعني به هنا اقتباس كل لغة من لغة أُخرى — ضروري الوقوع في كل لغة نامية حيّة كاللغة العربية. فما دامت الأُمة تخالط غيرها من الامم. وتعامله. أَو تتغلب عليه. ويتغلب عليها. فان لغتها لا تبقى في معزل عن طروء الدخيل عليها مهما تجافت وتحنَّطت. ومن له معرفة بشيء من هذه اللغات الغربية عرف أَن واحدة منها لا تخلو من أَن يكون فيها كثير من الكلمات اقتبستها من جارتها. وفي اللغتين الفرنسوية والاسبانيولية طائفة من كلمات العرب.

فالاقتباس على هذا النحو أَثرٌ طبيعيٌّ في كل لغة حية لم يحُلْ بين أَهلها وبين غيرهم من الامم حائل يمنع ذلك الاقتباس. وليست اللغة العربية ببدعٍ من تلك اللغات. وليست هي في جميع أَدوارها التاريخية قبل الاسلام وبعده ـ بالتي يمكنها أَن تسلم من تأْثير هذا الناموس الطبيعي فيها.

ومن ثمه لم يجرأ علماء اللغة فيما أظن على القول بأن التعريب سماعي . أو أن المولَّدين محجور عليهم أن يقتبسوا ويعرّبوا . أو أن كلامهم الذي انطوت جوانحهُ على شيءٍ من هذه المعرّبات غير عربيٍّ أو غير فصيح .

ومما صرح به العلماء في بحث الكلمات المعرّبة الواردة في القرآن ـ أن تلك الكلمات لا تؤثر في عروبة القرآن . ولا تخرجهُ عن كونهِ « قرآناً عربياً » كما أخبر الله تعالى . وهؤلاء فصحاء العرب أنفسهم كانوا يستعملون الكلمات الاعجمية في منظومهم ومنثورهم . ويبقون مع هذا فصحاء بلغاء وكلامهم فصيحاً بليغاً

معرّبات السنة

وقد ورد في الحديث والسنّة الشريفة كثير من الكلمات الاعجمية الدخيلة . ولا بأس في الإشارة إلى بعض ما ورد من هذا القبيل .

« زرمانقه » جبة صوف وهي عبرانية · « سَرَقَة » قطعة من جيّدِ الحرير· جمعها سَرَق · فارسية أَصلها سَرَه · ومعناه الجيد · « الشبور » البوق عبرانية · « طازجة » خالصة منقاة · معرب تازه الفارسية· « برازيق » جماعات · فارسية · « الطَّسَق » ويقولون الطسّوج أيضاً الوظيفة من خراج الارض المقرر عليها · وهي فارسية · « الفهور » مواضع مدارس اليهود · نبطية أَو عبرانية · « الفيج » المسرع في مشيه الذي يحمل الاخبار من بلد إلى بلد · فارسي معرب · وهو ما يقال له اليوم الساعي أَو حامل البريد « الكركم » الزعفران أَو العصفر أَو شيء كالورس · فارسي معرّب · « الماحوز » الموضع الذي يقصده الانسان في سفره · وليست عربية · « الماخور » مجمع أَهل الفسق والفساد · وبيت الخمّار · معرب مَيخور فارسية · « الماذيان » النهر الكبير · فارسية « المرزبان » البطل المقدم على القوم · فارسية · وجمعها مرازبة · « الموبذان » بمنزلة قاضي القضاة في الاسلام · وجمعها موابذة · « القهرمان » الخازن والوكيل · جمعها قهارمة · « قليّة » أَو « قلاّية » معبد النصارى كالصومعة · معرب

كلادة «اندروزديه» سراويل مشمّر كالتبّان فارسية . « الهنباط » صاحب الجيش . رومية . « بخنج » و« ميسوسن » ضربان من المسكر . معرّبتان « يُدَرْقِلون » يلعبون ويرقصون باللغة الحبشية . وفعلهم الدرقلة والدركلة «الدرهرهة» سكين معوجة الرأس . قال ابن الأنباري هي ما يسمونهُ المنجل . فارسية . « دسكرة » بناءٌ على هيئة القصر . فيهِ منازل وبيوت للخدم والحشم . وهي فارسية . « الخربز » البطيخ بالفارسية . « الخرديق » المرق . فارسي معرب وأنشد الفرّاء

(قالت سليمى اشترْ لنا دقيقا   واشترْ شُحَيْماً نتخذ خرديقا)

« إنه كان يلبس البرانس والمساتق ويصلي فيها » البرنس معرب . والمساتق جمع مستقة . فرو طويل الكمين معرب مشته .

« امرأة نزعت موزجها فسقت به كلباً » الموزج الخفُّ معرب موزه بالفارسية .

وفي صفة الجنة « وأنهار من عسل مصفّى من موم العسل »

الموم الشمع. معرب «الدرهم يطعم الدرمق . ويكسو النرمق» الدرمق الدقيق المحوَّر يعني الابيض. أما النرمق فهو الليّن من الثياب فارسي معرب . أصله النرم . ويروى اليرمق بالياء . وهو القباء . وأنكره بعضهم قال وإنما هو اليلمق . معرب يلمه .

« أُتيَ بسارق قد سرق بختية » البخاتي جمال طوال الاعناق . واحدها بختي وبختية . فارسي معرب .

« نزل آدم من الجنة بالباسنة » الباسنة سكة الحرث غير عربية . « وجعل أبا عبيدة على البياذقة » الرجّالة . واحده بيذق . وهم البيادة في اصطلاح هذه الايام . ومنه بيذق الشطرنج . والكلمة فارسية . « البيشيارجات تعظّم البطن » هي ما يقدم إلى الضيف قبل الطعام . فارسية . ولعلّها التي يطلق عليها الفرنسويون كلمة « Entrées » أو كلمة « Hors d'œvre » .

في حديث جريج العابد « إنه مسح على رأس الصبي وقال يا بابوس من أبوك ؟ » البابوس الصبي الرضيع . وهي كلمة دخيلة . والطفل الصغير يعبَّر عنه في اللغة الفرنسوية بكلمة « Bébé »

« بابا» بألفين ممالتين إلى ياء . في حديث أبي وائل « ورد علينا كتاب عمر . وفيه إذا قال الرجل للرجل لا تدحل فقد أمَّنه» لا تدحل بالحاء المهملة . بمعنى لا تخف بالنبطية . وفي حديث الحسن « سأله رجل عن الصحناة فقال وهل يأكل المسلمون الصحناة ؟ » هي إدام يتخذ من السمك الصغار مشهٍّ مصلح للمعدة . والكلمة أعجمية . ولعل الصحناة ما يسمونه اليوم « السردين »

« أهدى رجل من العراق إلى ابن عمر جوارش» هي نوع من الادوية المركبة . يقوي المعدة و يهضم الطعام . معرب .

في حديث عيسى عليه السلام « إنه لم يخلِّف الاّ قفشين ومخذفة » المخذفة المقلاع . أمَّا القفش فهو فارسي معرب كفه أو كفش . وهو الخفّ القصير . وما يدرينا أن تكون كلمة خف نفسها التي نحسبها عربية محضة ـ معربة عن كفج أو كفش .

وفي حديث مجاهد « يغدو الشيطان بقيروانه إلى السوق» والقيروان الجماعة أو القافلة . وهي معربة عن الفارسية .

وأصلها «كاربان»

«أكل الحسن أو الحسين تمرة من تمر الصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ» كلمة يزجر بها الصبي ويردع. ويقال عند التقذر أيضاً. وهي أعجمية عُرِّبت.

ولا يضر فصاحتَه صلى الله عليه وسلم وجودُ كلمات أعجمية في كلامه. كما لم يضر ذلك فصاحة القرآن. ويحتمل أن منشأ قول البعض: إنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف كل لغة. ويتكلم بكل لسان — وجودُ بعض كلمات في كلامه من لغات أعجمية مختلفة فقال قائل: إنه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بلغات الاعاجم. يعني أنه لا يأنف من أن يودع في كلامه من تلك اللغات. ويستعملها إذا عرضت له. فحسبه الآخر يعني أنه صلى الله عليه وسلم يعرف الألسنة الاعجمية بمجموعها بحيث يمكنه أن يحاور أهلها. ثم فشا هذا الوهم في رواة الحديث. وتداولوه بينهم. وسئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان تزميله صلى الله عليه وسلم؟ قالت «كان مرطا طوله أربعة عشر ذراعاً. نصفه عليَّ

وأَنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي.» فسئلت ما كان ؟ قالت « والله ما كان خزًّا ولا قزًّا ولا مرعزّي ولا إِبريسم ولا صوفًا: كان سداه شعرًا ولحمته وبرًا » فقولها ولا خزًّا الخ من باب النطق بكلمات الاعاجم ·

المعرَّب عربيٌّ أَو بمنزلته

وإنما كان إِبداع القرآن أَو الحـديث أَو أَيِّ كلام عربي ـ شيئًا من الكلمات الاعجمية المعربة لا يخرجه عن العروبة ولا ينزع عنه لباس الفصاحة والبلاغة ـ ذلك لأَن مولى القوم منهم ولأَن سلمان الفارسيَّ قد أَصبح بعد إِسلامه واتّباعه طريقـة آل البيت واحدًا من آل البيت·

لا جرم أَن القارئ الكريم قد أَدرك ما أَردناه من هذين المثالين — أَردنا ان الكلمة الأَعجمية تصبح بعد تعريبها بمنزلة الكلمات العربية · وقد قال الجواليقي ان المعرَّبات أَعجمية باعتبار الاصل· عربية باعتبار الحال · وتبعهُ على ذلك الامام ابن

الجوزي وغيره . وصرَّحوا بان الكلمات الاعجمية التي وقعت للعرب فعرَّبوها بألسنتهم . وحوّلوها عن ألفاظ العجم الى ألفاظهم تصبح عربية . فيجري عليها من الاحكام ما يجري على تلك . فتتوارد عليها علامات الاعراب الا في بعض الاحوال . وتُعرَّف بأل . وتضاف ويضاف اليها . وتثنى وتجمع . وتذكَّر وتؤنَّث وفوق ذلك كلهُ تصرُّفُ أهلِ اللغة في الكلمة المعرَّبة وإعمالهم مباضعَ الاشتقاق في بنيتها . وهذا عندي من أبين الادلة على كون المعرَّب في اعتبارهم عربياً : فقد قالوا : في زنديق زندقة وتزندق . واشتقوا من فيلسوف فلسفة وتفلسف . ومن سوفسطائي سفسط سفسطة . ومن مزركش زركش زركشة . ومن طراز طرَّز تطريزًا وهو مطرَّز ومطرِّز . ومن المؤرخ المعرَّب عن « ماه روز » أرَّخ يؤرّخ تاريخاً . ومن سردق بيات مسردَق . ومن ديوان دوَّن تدويناً . ومن دهقان دهقنوهُ دهقنةً وتدهقن . ومن خاقان خقَّنوهُ على أنفسهم ملَّكوه . ومن أسقف أسقفوه على أبناء طائفته جعلوه أسقفاً عليهم . ومن نوروز نورز . وأُهدِيَ الى عليٍّ رضي الله عنه في النوروز الخبيص فقال نورزوا لنا كل يوم . وقال الشاعر :

نورز الناس ونورز ت ولكن بدموعي
وذكت نارهمو والنار مابين ضلوعي

وذلك انهم في يوم النوروز كانوا يشعلون النيران ٠ ويرشون المياه أمام بيوتهم ٠ ذكر ذلك المتربزي وغيره ٠

ومن الصاروج وهو الكلس صرّج الحوض تصريجاً ٠ والحوض مصرج أي معمول بالصاروج ٠ ومن القزّ قزّاز وهو الذي يبيعه ومن بريد أبرد صاحب البريد الى الأمير أي أرسل اليه بريداً فهو مبرِد ٠ ومن المهر وهو الخاتم بالفارسية مهر الكتاب ختمه فهو ممهور ٠ والنواخذة ملاّك سفن البحر أو وكلاؤهم ٠ معرّب واحده ناخذاه ٠ وقد اشتقوا منه فعلاً فقالوا: تنخّذ على وزان تترّس والكشخان الديوث ٠ فارسي معرّب ٠ جعلوا له مصدراً فقالوا كشخنة يريدون الدياثة ٠ وروى صاحب الاغاني في أخبار «ذات الخال» أن هرون الرشيد قال يوماً في مجلسه «أيكم لا يبالي ان يكون كشخاناً حتى أهب له ذات الخال» ٠ وذكر الجوهري «ان هنداز معرّب اندازه يقال أعطاه بلا حساب ولا هنداز ٠ ثم اشتقوا منه مهندز بالزاي على صيغة اسم الفاعل ٠ وهو الذي يقدّر مجاري القنا حيث تحفر ٠ وأُبدلت زايه سيناً لانهُ ليس في

كلام العرب زاي معجمة بعد دال فقيل مهندس »

ومن الأدلة على أن المعرب عربي قول الخليل : ليس في كلام العرب على وزن فِعلَل غير كلمة « درهم » . ثم عدد كلمات أُخر ثلاثة . فانظر كيف أنه جعل كلمة درهم من كلام العرب وأنت تعلم أنها معرَّبة من الرومية . وأصلها « درم » لكنهم زادوا عليها الهاء لاجل إلحاقها بهجرع . كذا قالوا . ويدور في خلدي أن الهاء من درهم ليست مزيدة للالحاق وإنما هي أصلية محوَّلة عن حرف أعجمي . وهو الخاء فيما أحسب . وذلك أن عند اليونان (وهم الروم) ضرباً من النقود يسمى « درخمة » بالخاء . وطالما ذكره الكتاب والصحافيون بمناسبة كلامهم عن الشؤون المالية اليونانية فيقولون مثلاً مئة ألف درخمة . فالهاء في درهم محولة عن خاء أو حرف قريب منها يعرفه العارف باللغة اليونانية . وكأن العرب أخذوا اسم الدرهم من اليونانية كما أخذوا اسم الدينار من الفارسية . ولكن أكد لي بعض الفضلاء أن الدينار ليست فارسية وإنما هي معرَّبة من اللاتينية .

ومن الادلة أيضاً على أن الكلمة الاعجمية إذا عرّبت أصبحت في عداد كلام العرب· وملكاً لهم· وتحت مطلق تصرفهم ـ ما ذكروه في كلمة « خُرَّم » على وزان سُلَّم· هذه الكلمة فارسية ومعناها العيش الهنيء الناعم· أو الشيء المبهج السارّ· وتطلق على ضرب من النبات· ثم إن العرب أخذوا هذه الكلمة بحروفها وحركاتها ولم يُلحقوا بها شيئاً من التغيير: لأن لها في لغتهم مثالاً وهو كلمة سُلَّم· وجعلوا يستعملونها في معناها الفارسي· أعني العيش الناعم· ثم بدا لهم أن يتصرفوا فيها تصرف الملاَّك فأطلقوها على « سراج القطرب » وجعلوها اسماً له· فأصبح هذا المعرب أعني «خُرَّم» من قبيل الاسم المشترك· أو هو ضربٌ من المشترك غريب: بعض معانيهِ فارسي وبعضها عربي· وللقطرب معان: منها اللصُّ الفاره (النشيط) في اللصوصية· ولعلهم يريدون بسراج القطرب ـ السراج الخاص باللصوص يستعملونهُ في ليالي السرقات· وبالجملة فان استعمال العرب لكلمة « خرَّم » في معنى عربي جديد لم تكن تطلق عليهِ في عهد عجمتها ـ آية على

أَن المعرَّب عربيٌّ . وأَن من تجنَّس بجنسيَّة قومٍ عُدَّ فيهم . وصلح لان يستخدم في وظائفهم .

ولابأس في أَن نستشهد لهذا أَيضاً بماقاله بعض العلماء المحتج باقوالهم : سئل هذا العالم عما عربتهُ العرب من اللغات . واستعملتهُ في كلامها . هل يعطي حكم كلامها فيشتق . ويشتق منهُ ؟ فكان ملخص جوابهِ عن الأول : أَن الكلمة المعربة لا يمكن أَن تشتق من كلمة عربية . إِذ الاشتقاق إِنما يجري في اللغة الواحدة بعضها من بعض . لأَن الاشتقاق نتاج وتوليد . ومحالٌ أَن تلد المرأَة إِلاَّ انسانًا . ومن أَدعى أَن إِسحق من أَسحقهُ الله أَبعده . ويعقوب من اسم الطائر ــ كان كمن ادعى أَن الطير ولد الحوت . وأَجاب عن السؤَال الثاني وهو ما إِذا كان المعرب مما يصح أَن يشتق منهُ بقوله : إِن هذا الضرب من المعرب الذي أُجرى مجرى العربي تجري عليهِ الاحكام الجارية على العربي نفسهِ من تصرّف فيهِ واشتقاق منهُ . ثم مثَّل لذلك باللجام فقال إِنهُ معرب من « لغام » أَو « لكام » الفارسية . وقد جمع على لجم ككتب وصغّر على لجيم . وأَتى الفعل منهُ بمصدر وهو الالجام . وقد أَلجمهُ فهو ملجم وغير ذلك انتهى ما أَردنا الاستشهاد بهِ من كلام ذلك الفاضل

وأَزيد عليهِ أَن أَهل اللغة لم يقتصروا في تصريف كلمة لجام والتصرّف بها — عَلَى استعمالها بطريق الحقيقة بل تجاوزوها إلى التجوُّز والكناية على نمط مايفعلون بكلمات لغتهم : فقالوا أَلجمهُ الماء إذا بلغ منهُ موضع اللجام من الفرس وهوالفم . وقالوا « فلان لفظ لجامهُ » إِذا انصرف من حاجتهِ مجهوداً من الإِعياء . وفي الحديث « التقيُّ ملجَم » أَي انهُ مقيَّد اللسان لايطلقهُ فيما لايحلُّه له الشرع من الخوض في الباطل . وهكذا . فاستعمال كلمة « لجام » في هذه المعاني المجازية لايقلُّ في الدلالة على عربية المعرَّب — عما ذكرناه آنفاً في استعمال العرب لكلمة « خُرَّم » في معنى جديد غير معناها الفارسي .

قد يكون المعرب فصيحا

وَالناظر في كلام العرب يجدهم قد استعملوا كثيراً من الكلمات الاعجمية مع وجود نظير لها بمعناها في لغتهم العربيَّة . وقد لا يكون لها نظير . فوجود النظير لها الذي قد يغني عنها لم يمنعهم من تعريبها . ولم يحل بينهم وبين استعمالها .

وإِذا ثبت أَن المعرب الدخيل في حكم العربي الاصيل

كانا سواءً في صحة الاستعمال · وفي وصف الفصاحة · وفي كون الكلام المؤَلف منهما فصيحاً ·

وقد اشترط علماء البلاغة في فصاحة المفرد خلوصهُ (١) من تنافر الحروف : فمستشزرات في قول امرىء القيس « غدائره مستشزرات إلى العلى » غير فصيح · و (٢) من الغرابة : فكلمة مسرَّجاً في قول الشاعر « وفاحما ومرسِنا مسرَّجا » غير فصيح ويعني بالمرسن الانف · و (٣) من مخالفة القياس اللغوي فقوله « الحمد لله العليِّ الاجلَلِ » بفك الادغام لضرورة الشعر — مكان الاجلِّ غير فصيح ·

وجعل بعضهم مدار الفصاحة على كثرة استعمال العرب للكلمة : فمتى كانت الكلمة كثيرة الدوران في كلامهم كانت فصيحة · ولم يذكر الخلوص من الامور الثلاثة المذكورة : لأَن الكلمة إذا لم تخلُص منها يبعد أن يكثر استعمالها وتداولها بينهم · فالعبرة في الفصاحة عند هذا البعض كثرة الاستعمال · وإذا أكثر العرب من استعمال كلمة أعجمية كانت فصيحة ضرورة أَنهم لم يشترطوا في الفصاحة إلاَّ كثرة الاستعمال ·

ولما ذكر نُقَّاد اللغة الرديء المذموم من اللغات مثَّلوا بالعنعنة والكشكشة والكسكسة والجعجعة ونظائر ذلك ولم يذكروا قطاً أن يكون الكلمة اعجمية الاصل. ولم يمثّلوا بالمعرَّبات. وعلماء البلاغة أنفسهم لم يذكروا في فصاحة المفرد سوى خلوصه مما ذكرنا من الأُمور الثلاثة، ولم يذكروا أن لا يكون معرباً. أو أن لا يكون له نظيراً و مرادف في اللغة العربية ويعدل عن نظيره إليه — حتى إذا استعملنا معرَّباً في كلامنا عُدَّ كلامنا غير فصيح. وحتى إذا عدلنا عن العربي الاصلي إلى المعرب الدخيل كنا مسيئين إلى اللغة العربية. وناكبين عن نهج الفصاحة فيها.

راع في اللفظ المعرّب — الخلوصَ من التنافر بحيث لا يعسر النطق به. ومن الغرابة بأن يكون مألوف الاستعمال. ومن مخالفة القياس بأن يكون على قانون الالفاظ المراعي عند أهل اللغة. أو يقال راع فيه أن يكون مما أكثرت العرب استعمالهُ كما حققهُ بعضهم في فصاحة المفرد — ولك بعد ذلك أن تستعمله بلا إثم ولا حرج.

ومن تجنَّس بالجنسية المصرية · وتوفَّرت فيه صفات الوطنيّ الصادق ـ وجب على الوطن المصري أَن يعدَّه من أَبنائه · ويستعمله في وظائفه · ويأْتمنه على مصالحه · ولا يكون بصنيعه هذا قد أَساءَ إلى نفسه · أَو إلى أَبناء وطنه الاصليين · إذا دخلت في لغتنا كلمة من لُغات الاعاجم · ثم شاع استعمالها بيننا حتى خفَّت على الأَلسنة · وحلت في الاسماع · فلم تكن من حوشيّ المعرَّبات (وحشيّها) ولا عقِدِها ولا الغريب المشكل منها ـ جاز أَن نستعملها فيما نكتب ونخطب · ولا نكون بذلك مخالفين لقوانين لغتنا · ولا آداب سلفنا · وكان كلامنا فصيحًا مونِقَا · وعودُهُ غضًّا مورِقًا ·

ولا يحسن منا أَن نُهمِل تلك الكلمة أَو ننعي على مستعمليها ثم نغوص في أَعماق القواميس لاجل البحث عن كلمة في العربية القديمة تقوم مقامها · قلنا لك آنفًا إن القول المعتمد عند جهابذة اللغة وصيارف كلمها كسيبويه وأَضرابه ـ أَن مدار التعريب على الاستعمال : فإذا استُعمِلَت الكلمة الأَعجمية بيننا أَصبحت معربة · ثم أَثبتنا لك أَن المعرب في حكم العربي حتى صح أَن تجري عليه أَحكامه · ثم ذكرنا لك أَن علماءَ

البلاغة لم يشترطوا في فصاحة المفرد خلوصه من العجمة — فمن بعد هذا كله لا ينبغي لك أن تقطِّب حاجبيك في وجه الكلمات المعرَّبة. أو تسيء اليها بإهمالها. والاعراض عنها. والبحث عن كلمة عربية منسيَّة سواها. إن كنت ولا بدَّ فاعلاً فابدأ قبل كل شيءٍ بكلمات ورد. والماس. وباذنجان. ودرابزين. وعربون. ومسك. وناي. وأُترجّ. ولوبيا. وجاسوس. وخوخ. الأَعجميات المعربات المحبَّبات إلى الأَذواق والاسماع واستعمل في كلامك مكانها حوجم. سامور. حدج. حلفق. مسكان. مشموم. زمخر. سجلاَّط. متك. دجر. ناطس. فرسك. فإن هذه هي الكلمات العربية المحضة التي كان يستعملها أَجدادنا العرب قبل أَن يظفروا بتلك الكلمات الاعجمية. ما بالهم جفوها وعدلوا عنها إلى هذه الكلمات وهم أَبرُّ الناس بلغتهم. وأَحناهم عليها؟ أو لم يعرفوا أَن المعرَّبات أَصبحت جزءً من أَجزاء لغتهم. وفرداً من أَفراد أُسرتها — لما جنحوا إليها. ولما عوَّلوا في الاستعمال عليها: يعرفون أَن في لغتهم الصَرَفان ومع ذلك

استعملوا من الأعجمية كلمة ترادفها وهي الرصاص. ويعرفون البنايق. وقد تعرفوا بأعجميتها أيضاً أعني الدخاريص. ويعرفون المقلي فاستعملوا أعجميتها وهي الطاجن. ويعرفون المِثْعب وقد استعملوا أعجميته أعني الميزاب. ويعرفون الفرصاد ولم يمنعهم ذلك عن النطق بأعجميته وهي التوت. وامرؤ القيس يعرف المرآة والوذيلة لكنه مع هذا لم يجد بأساً في استعمال سجنجل فاستعملها في معلّقته التي كانت العرب تسجد لفصاحتها. وسأل عليٌّ رضي الله عنه قاضيه شريحاً مسئلةً فأجابه بما سرَّه فقال له عليٌّ «قالون» وهي معرَّبة عن الرومية ومعناها أحسنت. ونقول اليوم في مقامها «براڤو». وهل تحسب أمير المؤمنين لم يعرف كلمة في العربية تقوم مقام «قالون» حتى رأى نفسه مضطرًّا إلى استعمالها في خطاب شريح؟ أين عزبت عن ذهنه كلمات أصبت وأجدت وأحسنت ومرحى مرحى الخ وهو أمير البلاغة. وحامل لوائها. ومُشْرِع نهجها. لو كان استعمال المعرَّب مع وجود العربي مخلاً بالفصاحة. أو مشوِّهاً للكلام الفصيح

كان أحقّ ما روعي هـذا في كلام رب العالمين الذي بلغ في الفصاحة والبلاغة مبلغاً «انحدر عنهُ السيل ، ولم يرقَ إليهِ الطير» لاسيما والبلاغة والفصاحة فيهِ مقصودتان لمنزله سبحانهُ قصداً اقتضتهُ الحكمة في التحدِّي والاعجاز ولأَجل أَن تحقَّ الكلمة على العرب ، ومع هذا كله فقد قال تعالى أَرائك ولم يقل سررا وجبت ولم يقل شيطان أَوساحر على أَن شيطان يونانية الاصل ، ودريّ ولم يقل مضيء ، ويمّ ولم يقل بحر ، وحصَب ولم يقل حطب ، وسَرِيّ ولم يقل نهر ، وفوم ولم يقل حنطة ، وقسطاس ولم يقل ميزان ، وغسَّاق ولم يقل بارد منتن ، وسجّيل ولم يقل حجارة من طين ، وصراط ولم يقل طريق ، وطور ولم يقل جبل ، وكل ما قالهُ سبحانهُ أَعجمي دخيل ، وكل ما سكت عنه عربي أَصيل ، مع ملاحظةِ أَن المسكوت عنه ليس بالحوشيِّ أَو المتنافر بل هو فصيح وقد استعمله القرآن نفسه ، ولحكمة يعلمها الله تعالى ونكتة اقتضتها أَرقى رتب البلاغة ـ عدل سبحانه عن العربي الى الدخيل ، ولعل الحكمة في ذلك تنبيهنا معشر العرب إلى ما يجب علينا من

العناية بالمعربات · والانتفاع بها · والاستكثار من سوادها بين ظهراني لغتنا · فتحيي بها · وتنمو · وتصير صالحة لأَن تلتحم مع مدنيات الامم كافة · كما أَن دين تلك اللغة أَعني دين الاسلام أُنزل ليكون دين الأُمم كافة · فإِذا لم نتدبر تلك الحكمة · ولم نعتن بالتعريب ونفسح مجالاً للمعرَّبات على أَسلات أَلسنتنا · وأَسنان أَقلامنا — كنا عاملين على إِماتة اللغة · أَو وقوف نموها · كما نحن الآن عاملون على إِماتة الدين بعدم نشره بين الامم · ودعوتهم إِليه بطرق الدعوة المعروفة · وأَساليبها المأْلوفة · ولبعض العلماء في هذا المقام كلام نفيس يحسن نقله والاستشهاد به على صحة ما ذهبنا إِليه من أَن المعرب الدخيل في العربية قد يكون فصيحاً بل أَفصح من غيره ولو كان هذا الغير عريقاً في العروبة · قال :

إِن قيل إِن لفظ «استبرق» (الوارد في القرآن) ليس بعربي · وغير العربي من الأَلفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة — فنقول لو اجتمع فصحاء العالم وأَرادوا أَن يتركوا هذه اللفظة «استبرق» ويأْتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة

لعجزوا عن ذلك (وبعد أن ذكر وجه كون الفصاحة تستدعي اختيار كلمة « استبرق » دون غيرها من الكلمات من حيث أن الفصاحة توجب ذكر ضربٍ من ضروب الحرير يكون الأثقل الأثخن قال) : فإما أن يُذْكَر ذلك الضرب من الحرير بلفظ واحد موضوع له صريحٍ . أو لا يذكر بمثل هذا . ولا شك أن ذكره باللفظ الواحد الصريح أولى : لأنه أوجز وأظهر في الإفادة وذلك اللفظ الواحد هو « الاستبرق » . فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه : لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحداً وألفاظ متعددة . ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه : لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس . ولم يكن لهم بها عهد . ولا وُضع في اللغة العربية للديباج الثخين إسم . وإنما عرّبوا ما سمعوا من العجم . واستغنوا به عن الوضع . لقلة وجوده عندهم . ونزرة تلفظهم به — وإما أن يذكره بلفظين فأكثر . ويكون حينئذ قد أخلّ بالبلاغة : لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ — تطويل . فعلم بهذا أن لفظ

«استبرق» يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه · ولا يجد ما يقوم مقامه · وأيُّ فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله انتهى ·

طائفة من معرَّب كلام

الفصحاء

وقد مشى كبار البلغاء والكتاب على سنَن القرآن الحكيم في استعمال الكلمات الأعجمية المعرَّبة في كلامهم مع إمكان أن يجدوا أو يشتقوا لها مرادفاً في اللغة العربية : قال عديٌّ بن زيد الشاعر الجاهلي الكبير من قصيدة

(أرقتُ لمكفهرٍّ بات فيه بوارق يعتلين رؤوسَ شيب)

(تظلُّ المشرفيَّة في ذراه ويجلو صفح «دخدار» قشيب)

يقول إنه غلب عليه الأرق لرؤيته في السماء سحاباً أسود· وكانت البروق تتهاوى في رؤوس ذلك السحاب وهي بيضاء كأنها شائبة· ثم شبه البروق تشبيهاً آخر فقال هي كسيوف مشرفيَّة تومض في أعالي السحاب· ورجع إلى تشبيه السحاب فقال

إنه يجلو ويبدي للناظر إليه صفحات ثوبٍ مصون جديد٠
فدخدار كلمة معربة عن الفارسية وهي بمعنى ثوب مصون٠
وأصلها « تخت دار» وتخت بالفارسية الوعاء تصان فيه الثياب
وهو الذي يسمى في العربية صوان وصيان وعيبة ٠ و« دار»
أداة نسبة في الفارسية كهي في « دفتردار» ٠ كأنه يقول
ويجلو ذلك السحاب صفحَ ذي صوان أي صفح ثوب مصون ٠

وروى ابو عبيدة

قد علمت فارسٌ وحميرُ والأعـراب بالدَشْت أيكم نزلا ٠

الدشت فارسي معرّب٠ ومعناه الصحراء٠ ودشت قفجاق
اسم لصحراء كبيرة في بلاد الترك الاصلية٠ وقال امرؤ القيس٠
« ترائبها مصقولة كالسجنجل » والسجنجل المرآة وهي معربة٠
وقال آخر٠

(ودوِّيَّة قفر تمشّى نعاجها كمشي النصارى في خفاف الارندج)

الأرندج كلمة معربة ٠ وهي إسم لضرب من الجلد أسود
اللون أو المدبوغ بالعفص٠ وكان من عادة النصارى أن يتخذوا

ذلك الضرب من النعال . فالشاعر يصف ظباء الدوية وهي الفلاة بأن مشيها باظلافها السوداء كمشي النصارى في خفافهم السود

وقال آخر

(إنما الذلفاء ياقوتة أُخرجت من كيس دهقان)

والدهقان فارسية الأَصل ومعناها رئيس القرية وهو ما يسمى في مصر بالعمدة . وقال ابن قيس الرقيات :

(تكنُّه خِرقة الدرفس من الشمس كليث يفرّج الأَجما)

« الدرفس » على وزان قمطر العلَم الكبير . وهو فارسي معرب درفش بالشين المعجمة . وأصلهُ إسم لواء كبير خاص . وكان ذلك اللواء مقدساً في نظر الفرس . ويسمونهُ «درفش كاويان» وكاويان إسم حداد . ولهذا الحداد ولوائه قصة في تاريخ الفرس القديم لايجمل ذكرها في هذا المحل . وقد عني البحتري هذا العلم في قولهِ من قصيدته السينية التي وصف بها إيوان كسرى والصُوَر التي فيه :

(والمنايا مواثل وأَنوشر وان يُزْجِي الصفوف تحت الدرفس)

وقال أَحد أَحفاد المهلب يفخر به

(أَنا ابن المهلَّب ما فوق ذا   لِعالٍ إِلى شرفٍ مرتقي)

(قريع العراق وبطريقهم   وعزهُم المرتجي المتَّقي)

والبطريق معرب . وأَصلهُ القائد الكبير من قواد الروم

وقال المتنبيء

(بياض وجه يريك الشمس حالكة

ودرُّ لفظ يريك الدرَّ مشخَلبا

والمشخَلب كلمة معربة . ومعناها أَردأُ الخرز .

وقد استعمل ابن خلدون — وكفى به حجة فيما يحسن بلاغة ومالا يحسن — كلمة برنامج وغيرها من كلمات الاعاجم في مقدمته المشهورة . وبرنامج يقرب معناها من معنى فهرست ونموذج الفارسيتين . وشدَّ ما استعملهما كبار الكتاب وبلغاء المصنفين في كتاباتهم . وتستعمل في معناها من العربية كلمة « مثال » . وربما كانت كلمة « بروجرام » الافرنكية التي عرَّبها المعاصرون مما يعطي معنى برنامج ونموذج . ومعناها في

الأَصل بيان واعلان ·

وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين «وحين صار المال في أَيديهما قصدا بعض الكرابج فابتاعا من الطعام ما اشتهيا» فقولهُ الكرابج جمع كربج على وزان برثن · وهو فارسي معرب ومعناه الحانوت أو المتاع الذي يكون في حانوت البقال من خبز وجبن وسمن · والظاهر من كلام الجاحظ أَنه يعني المعنى الأَول وهو الحانوت · والجاحظ لم يرفرقاً بين الكرابج الأَعجمية والدكاكين والحوانيت العربيتين · على أَن كلمة الحوانيت نفسها سريانية لاعربية · ولم يحسب أَن الكرابج مخلة بفصاحة كلامهِ · ولذلك استعملها ولم يخش عارها · والفقرة المذكورة من جملة قصة عن اعرابيين كانا يمشيان في بعض أَسواق المدن · وكان إِسم أَحدهما حيدان · فأَوطأَ فارسٌ دابَّته إِصبع حيدان فقطعها · فأَخذ الأَعرابيان بتلابيب الفارس · حتى أَدى إِليهما أَرش الأُصبع · فذهبا بالمال إِلى بعض «الكرابج» ولما أَكل رفيق حيدان وشبع جعل يتغنَّى ويقول

(فلاغَرَثٌ ما كان في الناس كربج

وما بقيت في رجل حيدان إصبع)

الغَرَث الجوع · والكربج الحانوت كما قلنا · فانظر إلى الأعرابي كيف استعمل الكربج المعربة ولم تأنف عروبته من عجمتها · ومثله في ذلك أبو الغطمش الحنفي فقد قال يهجو امرأته

(منيت بزنمردةٍ كالعصا   ألصّ وأخبث من كندش)
(كأن الثآليل في وجهها   إذا أسفرت بدَدُ الكشمش)

فقوله « زنمردة » كلمة فارسية مركبة من كلمتين « زن » مرأة و «مرد » رجل: ركبتا وجعلتا كلمة واحدة · توصف بها المرأة المترجلة · وقد أصبحت كالكلمات العربية · ولذلك أجرى عليها أبو الغطمش حكمها: فأدخل عليها تاء التأنيث التي تفيد معنى الوحدة · ولعل الوحدة هي المرادة هنا: يقول أبو الغطمش إنه ابتلى بامرأة مترجلة اشدَّ خبثاً · وأكثر لصوصية من كندش · وكندش أحد لصوص العرب · وهو ايضاً إسم للعقعق الطائر المشهور

بالسرقة والخبث · والكشمش في البيت الثاني كلمة معربة أيضاً · وتطلق على ضرب من العنب أو الزبيب صغير الحب لاعجم له · ويسمى في بلاد الشام اشمليش · ولعله محرف عن كشمش · ويسمونه في مصر الزبيب البناتي · وقال آخر يصف ديوكا

(كان أعرافها من فوقها شرف ‏ حمر بنين على بعض الجواسيق)

(كأنها لبست أو ألبست فنكا ‏ فقلصت من حواشيه على السوق)

والجواسيق جمع جوسق وهو القصر · ويسمى اليوم الكوشك وهو أصله الفارسي · والفنك ضرب فاخر من الفراء · وكلتاهما أعجميتان · ووصف آخر امرأة فقال :

(ذقن ناقص وأنف غليظ ‏ وجبين كساجة القسطار)

الساجة القطعة من خشب الساج · والقسطار الصرّاف الذي ينتقد الدراهم · وهي كلمة معربة دخيلة · ومثل كلمة الكرابج التي ذكرها الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» كثير في كلامه وكتبه : من ذلك قوله في كتابه «البخلاء» عن لسان بخيل «اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني · فأمرني قوم بالفانيذ السكري · وأشار عليّ آخرون بالحريرة تتخذ من الشاهنج والسكّر ودهن اللوز وأشباه ذلك · فاستثقلت المؤونة ·

وكرهت الكلفة . ورجوت العافية . فبينا أنا أُدافع الأيام . إذ قال لي بعض الموفقين : عليك بماء النخالة فاحسهُ (إشربهُ) حاراً . فحسوت . فاذا هو طيب » فقوله الفانيذ والشاهنج والسكر واللوز كلها كلمات أعجمية عربوها ولم يأنف أكبر بليغ قام في العرب من استعمالها وإيداعها كتبهُ : ذلك لأن تلك الكلمات المعربة بعد أن تعارفوا عليها وتداولوها بينهم وصقلتها ألسنتهم بالاستعمال — أصبحت عربية كسائر الكلام العربي . ويشترط لتناولها وصحة استعمالها ما يشترط فيه هو مما ذكرناه لك آنفاً : خذ مثلاً كلمة الجوالق فانها معربة عن «چوال» بالجيم الفارسية . والعامة تقول له شوال بالشين العربية . ويسمى في الفصيح «غرارة» والغرارة مهما كانت فصيحة صحيحة النسب فانها لا تضارّ كلمة الجوالق المعربة . ولا تقضى عليها . بل أن منزلتهما في نفوس الفصحاء واحدة . وحظهما في الاستعمال سواء : قال الشاعر يصف امرأة

(وهي شوهاء كالجوالق فوهاً مستجاف يضلُّ فيهِ الشكيم)

يقول إنها دميمة . وفمها كالغرارة (الزكيبة) وهو مستجاف أي متسع . مشتق من الجوف . والشكيم الحديدة تكون في فم

الفرس ·

وقال ابو الفتح البستي

لا تنكرنَّ اذا أهديتُ نحوك من علومك الغرَّ أو آدابك النتفا
فقيّمُ الباغ قد يُهدي لمالكه برسم خدمته من باغهِ التُحَفَا

والباغ ليست عربية وانما هي تركية او فارسية ويلحق الاتراك بها أداة التصغير «چه» فيقولون «باغچه» اي حديقة أو بستان صغير

وقد استعمل ابن المقفع في كتابهِ كليلة ودمنة كثيراً من الكلمات الأعجمية مثل «بازيار» مربي البزاة · و «سرجين» الزبل · «وفيج» رسول السلطان القادم على رجليهِ · و «أساورة» جمع أسوار لمن يحسن الرمي · وكل هذه الكلمات فارسية · وكلمة «نيلوفر» اسم للزهر المعروف وهي رومية ·

ومن الغريب أن ابن سينا كان حريصاً على الكلمات العلمية الأعجمية والاحتفاظ بأصلها ولو ترجمها إلى العربية: كقوله في قانونهِ « فصل في قملة النسر · المسماة دذه بالفارسية وصملوك باليونانية · وطفانوس بالهندية »

ومن تصفح المعاجم ودواوين اللغة العربية وجد فيها كثيراً من المواد تحسبها لأول وهلة عربية لكثرة ما تداولتها ألسنة

العرب. وسالت في مسايل كلامهم. ثم لا تلبث أن تجدها أعجمية: ففي مادة « طرز » يقولون ـ الطراز علم الثوب والجيد من كل شيء. وهو فارسي معرب عن « تراز » بالتاء. ومعناه بالفارسية التقدير المستوي. فجعلت التاء طاء. وقد جاء في الشعر العربي. قال حسان بن ثابت رضي الله عنهُ

(بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمُّ الانوف من الطراز الأوَّل)

وفي مادة « طنز » الطنز السخرية. وطنز به سخر وكلَّمهُ باستهزاء فهو طنَّاز. قال الجوهري أظنهُ مولدًا أو معربًا. وفي نوادر الاعراب « هؤلاء قوم مطنزة » إذا كانوا لا خير فيهم. هينة أنفسهم عليهم. والعامة اليوم يقولون « مسخرة » في مقام «مطنزة». وهي هي وزنًا ومعنى.

ويقولون في مادة « بوص » البوصيّ ضرب من سفن البحر وهي كلمة معربة قال الأعشى.

(مثل الفراتيّ إذا ما طما يقذف بالبوصيّ والماهر)

ويقولون « دخريصُ » القميص ـ ما يوصل به بدنهُ ليتسع. وهو فارسي معرب. جمعهُ دخاريص ودخارص. قال

الأعشى « كما زدت في عرض القميص « الدخارصا » والدخريص في العربية البنيقة . جمعها بنايق . والقميص نفسهُ معرب لاعربي . ويقولون « الأصطَفْلِينة » على وزن « جردحلينة » الجزرة التي تؤكل . وهو فارسي معرب . قال معاوية ابن أبي سفيان في كتاب لهُ إلى ملك الروم « لأَنزِعنَّك من ملكك نزع الاصطفلينة . ولأردنَّك أَريساً من الأَرايسة ترعى الدوابل » الدوابل الخنانيص وهي صغار الخنازير . واحدها دوبل . خصّها بالذكر لأَن راعيها أَوضع من راعي الكبار . أَما الأَريس على وزن أَمير فهو لفظ دخيل . ومعناه في لغة أَهل الشام الأَكّار . وهو الفلاَّح أَو الحرَّاث ويجمع على أَرايسة . ويروى إِرِّيساً على وزان سِكِّيت . وجمعهُ حينئذ أَرارسة . وقد وردت هذه الكلمة على اختلاف روايتها بصيغة جمع المذكر السالم في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إِلى هرقل ملك الروم « فإِن توليتَ فانما عليك إِثم الأَريسيين » جمع اريس بالتشديد والتخفيف . وقال بعض شرَّاح الحديث إِن الأَريسيين نسبة إِلى « الأَريوسية » وهي طائفة من طوائف

النصارى . أقول إذا كان ذلك كذلك فأول ما يقع في الخيال أن أتباع هذه الطائفة هم الآريوسيون الذين ينتمون إلى «آريوس» وهو الذي قال بالوحدانية . وأنكر ألوهية المسيح . ومن أجل قوله هذا عُقِد أول مجمع مسيحي . فقرر عقيدة التثليث . وعمل على نشرها . وحمل الكافة عليها . وحكم على أريوس بالهرتقة . وهي ما يعبر عنهُ المسلمون بالزندقة .

وهكذا ترى في الحديث وأقوال فصحاء العرب جاهلية وإسلاماً كلمات كثيرة . تحسبها عربية . وليست سوى أعجمية تسرّبت إلى ألسنة أهل اللغة بواسطة المعاملة والمخالطة . كما يتسرب إلينا في هذا العصر كثير من الكلمات الافرنجية . ثم تصقلها ألسنتنا . وتألفها آذاننا . وتشيع بيننا . فلا نعود نتوقف في فهمها . ومن الجمود والمكابرة أن نصادر تلك الكلمات ونحاربها بكل قوة لدينا . مما لم يفعله أجدادنا الأولون . بل كانوا يرحِبون بأمثال تلك الكلمات الدخيلة في لغتهم . كما يُرحِبون بالطوائف الداخلة في ملتهم وطيّ جنسيتهم .

المولد

يعنون بالمُوَلَّد ما لم يعرفهُ أَهل اللغة ولم ينطقوا بهِ من الكلام وإِنما استعمله المولدون وجرَوْا عليـهِ في منثورهم ومنظومهم . والمولدون ليسوا من أَهل اللغة الذين يحتج بهم في إِثبات كلمها وصحة تراكيبها . ولا يحتج في ذلك إِلاَّ بكلام الجاهلي أَو المخضرم الذي عاش في الجاهلية والإِسلام كلبيد الشاعر الذي يقول

(ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤَال هذا الناس كيف لبيد)

سمي مخضرماً تشبيهاً لهُ بالناقة المخضرمـة . وهي التي قطع طرف أُذنها . والمخضرم قد اقتطع طرف من عمره : لأَن عمر الشرك لا اعتداد بهِ .

هاتان الطبقتان : الجاهليون والمخضرمون هم الحجة في اللغة . أَما الطبقة الثالثة وهم المولدون الذين وُلِدوا وعاشوا في الإِسلام فاذا نطقوا بكلمة . أَو أَتوا بتركيب لم يعرفه الجاهليون . ولا

المخضرمون قيل له مولد . فلا يحتج به. ولا يقاس عليه. وكثير من الكلمات تدور على ألسنة الفصحاء . فتحسب فصيحة وهي مولدة مثل إكتنه الشيء إذا عرف كنهه وحقيقته . ويرجع التوليد في الكلمات المولدة إلى ثلاثة طرق (١) طريق الاشتقاق (٢) طريق التعريب (٣) طريق الاستعمال التشبيهي :

« الأول » أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ولم يشتقوها . مثال ذلك كلمة « فسقية » للحوض الصغير الذى له أنبوبة في وسطه ينبثق منها الماء ويخرج بقوة . وقد أشتق لها هذا الإسم من مادة الفسق . وهو في اللغة بمعنى الخروج . ومنه سمي الفاسق فاسقًا لأنه خارج من طاعة الله . وسميت الفسقية بذلك لأن الماء يخرج منها . فمادة الفسق عربية . وأما ما اشتق منها أعنى الفسقية فمولد لا يعرفه العرب .

وقال بعض الفضلاء إن الفسقية لفظة لاتينية أصلها فسقينا « Fiscina » فتكون مولدة بطريق التعريب . لا بطريق

الاشتقاق . ومن المولد كلمة « عرقية » لما يلبس على الرأس تحت الطربوش وقاية له من العرق . ويمكن أن تكون منسوبة إلى العراق حيث اتخذت أو اصطنعت أولا . كما سموا الكوفية كوفية نسبة إلى بلدة الكوفة .

ومن المولد الاشتقاقي كلمة المخرقة . بمعنى اللعب والمزاح . مشتق من المخراق . وهو منديل يلفّ ويلعب به . فالمخراق يعرفه العرب وأما المخرقة فلا يعرفونها . وإنما هي مما استحدثه المولدون . ومنه « المزوَّرة » مرقة تطبخ للمريض خالية من الأدهان . وهي مشتقة من مادة الزور . وهو الكذب والبهتان : لأن تلك المرقة تشبه الطعام وليست هي بطعام . ومنه « ماهية » الشيء : يعنون كنهه وحقيقته مشتق « من ماهو » : الأصل عربي . أما الاشتقاق فمولد . ومنه « صينية » للوعاء المعروف وهي — إن لم تكن منسوبة إلى الصين — فمشتقة من مادة الصون لأنه يصان ما يوضع فيها . والعرب لا تعرف الكلمة . وإنما تعرف الصوان والصيان . لما يصان فيه الثوب .

ومنه « مقطف » للوعاء الذي يوضع فيه ما يقطف من من الفواكه والأثمار لا تعرفه العرب . وإنما كانوا يعرفون القطف . ومنه « مبوسر » لمن كان به بواسير . المادة معروفة عند أهل اللغة لكن اشتقاق هذه الصيغة مجهول لديهم . وهم إنما يسمونه مبسوراً . ومنه « بارية » للحصير مولدة . والعرب تعرف مادتها على غير هذه الصورة . فيسمون الحصير « باري » و « بوري » . ومنه « بارود » للمادة الملتهبة المعروفة . مشتقة من مادة البُرادة . وهي السحالة التي تنحات بسبب حك المبرد . سمي البارود باروداً لشبهه بها . ومن المولد كلمة « تلاشى » نحتوها من لا شيء . الأصل عربي . والاشتقاق مولد . ومنه « غيط » من مادة الغائط والغوطة . وهي الارض المنخفضة . فالغيط ليست من كلام العرب . وإنما هي من صنيع المولدين ومشتقاتهم . ومن ذلك كلمة « العائلة » . المادة عربية . أما هذه الصيغة بهذا المعنى فلم تكن معروفة للعرب . ومن ذلك قولهم لمن مارس الشعر وحذق العلوم العربية وأخبار العرب « أديب » وأطلقوا على علومه

هذه « علوم الأدب » . هذا الاشتقاق لا تعرفه العرب بهذا المعنى . وإن كان الأدب معروفاً عندهم . ومن مواد لغتهم ويريدون به حسن الطباع ومكارم الاخلاق . ومن المولد الاشتقاقي كلمة « عربة » وهو إسم لمقعد ذي عجلات يسير بواسطة جر الدواب له . المادّة عربية . أما الاشتقاق والصيغة فلا يعرفها العرب . وإنما هو من صنيع المولدين . ولما ذا سموها عربة ؟ كان أهل الجزيرة يطلقون إسم العربة على ضرب من سفنهم يجري في دجلة بواسطة دولاب يشبهُ الرحى يدور بقوة الماء الجاري . فلعل إسم عربة الدواب مقتبس من إسم عربة الماء هذه . ومن معاني العربة في اللغة النهر الشديد الجرية : فقد يقال إن عربة الدواب سميت بالعربة تشبيهاً لها بذلك النهر . واعلم أن مادة « عرب » ومقلوبها برع وعبر وبعر ورعب كلها تدل على الانتقال من مكان إلى مكان أو من حالة إلى حالة . هذا الذي يعرفه العرب . ولما عرف المولدون العربة . ورأوها تسير وتنتقل من مكان إلى آخر اشتقوا لها من

مادة عرب « عربة » .

« والثاني » الكلمات المولدة بطريق التعريب : وهو أن ينقل المولدون إلى لغتهم العربية كلمة من لغة أعجمية لم يكن يعرفها أهل اللغة العربية من قبل . فهي معربة . لكنهم يخصونها باسم مولدة للتفرقة بينها وبين الكلمات التي عربها العرب أنفسهم : مثل كلمة « ماهية » التي يراد بها المرتب يتناوله الموظف أو المستخدم في آخر كل شهر . هذه الكلمة مولدة من أصل فارسي : فان « ماه » بمعنى شهر في الفارسية . والماهية نسبة إليه . أي شهرية كما يقولون أحياناً . لكن هذا التعريب لم يجر على ألسنة العرب . وإنما جرى على ألسنة المولدين . ولذلك اعتبروا كلمة ماهية مولدة . وهي في الواقع ونفس الأمر معربة أيضاً . فكما أن الكلمة التي اشتقها المولدون مثل « تلاشى » « ومزورة » يضنون عليها بلقب المشتق مع أنها مشتقة — كذلك الكلمة التي عربوها من لغة أعجمية لا يسمونها معربة وإنما يسمونها مولدة للتفرقة بينها وبين ما عربه العرب أنفسهم . ومن المولد

عن طريق التعريب كلمة « قصطل » وهو معرب كستانة · ثمر معروف يسمى « شاه بلوط » · ويقال له في مصر « أبو فروة » · ومما عربه المولدون ولم يعرفه العرب كلمة « دبُّوقه » الذوآبة تجدلها الفتاة وترسلها على ظهرها · وهي معربة عن دنبوقة ومنها « باسه ببوسه » يريدون قبَّله · عربه المولدون عن الفارسية من مصدر « بوسيدن » ولا يعرفه العرب · ومنه «بازهر» معرب بادزهر · وهو حجر كريم · وأشهر خواصه أنه ترياق للسموم شرباً ووضعاً على الجرح · وأشهر ألوانه الأخضر قال الشاعر

كأنما الزيتون حول النهر　　بين رياض زُخرفت بالزهر
عِقد زمرد هوى من نحر　　أو خرزٌ خُرِطن من بازهر

شبه الزيتون الأخضر بخرزات اتخذن من ذلك الحجر الأخضر · وباعة الليمون الحامض في مصر ينادون عليه «بان زهر» وهو محرف عن باد زهر · فهل يعنون تشبيهه بالباد زهر في اللون · سيما وحجم الليمون الصغير المسمى بالبلدي يساعد على هذا التشبيه كما شبه الشاعر الزيتون به في البيتين المذكورين · أو أن

الباعة يريدون القاء الفال في الخيال · فيوهمون أن عصير الليمون الذي يبيعونهُ كالبازهر: في أن كلا منهما ترياق للسموم وأنهُ ناجع في الشفاء · من الأدواء والأسواء ·

« والثالث » من الكلمات المولدة ما استعمله المولدون على طريق التشبيه والكناية · وقد سميتهُ مولدًا بطريق الاستعمال التشبيهي لأنه لم يشتق من مادة لغوية اشتقاقًا · ولم ينقل عن أصل أعجمي تعريبًا · وإنما هو كلمة أو تركيب كان أهل اللغة يستعملونه في معنى · ثم جاء المولدون ونقلوه إلى معنى آخر واستعملوه فيه · لما لاحظوه من وجود الشبه بين المنقول والمنقول إليهُ تارة · ولقصد الكناية تارة أُخرى: مثاله « القَطْر » كان العرب يستعملونه في معنى المطر · أما المولدون فانهم استعملوه في هذا المعنى وفي السكَّر المذاب والمغلي على النار · وهذا الاستعمال الأخير لم يعرفه العرب · وتوليده لم يكن بطريق الاشتقاق · ولا بطريق التعريب · وإنما كان بطريق النقل التشبيهي: أي إن ذلك السكر يحكي قطر السماء · في الصفاء والألآء ·

ومن هذا القبيل كلمة «قطائف» جمع قطيفة وهي دثار مخمل. هذا ما تعرفـه العرب. أما المولدون فلما رأوا ذلك الضرب من الخبز الذي يصنعون منه نوعاً من الحلوى — مشابهاً لثوب القطيفة في خمله ولينه سموه قطائف. فالقطائف بهذا المعنى مولد.

ومن هذا النوع قولهم «منخطف اللون» لمن تغير لونه بسرعة. فكأنه خطفه خاطف. والعرب لم تقله وإنما ولده المولدون. ويشبه أن يكون من هذا الضرب قولهم «ملائكة الأرض» يعنون بهم أهل العراق لطفهم وظرفهم. قال الشاعر

(ملائكة الأرض أهل العرا   ق وأهل الشآم شياطينها)

العرب لم تعرف هذا الاستعمال. وإنما أبدعه المولدون. ويشبه هذا تسمية القاضي الفاضل لحمام الزاجل — الذي يأتي الملوك بالرسائل وأخبار الأقاليم — ملائكة الملوك.

وإذا عددنا أمثال هذين التركيبين في المولد فالمولد لا يحد. ولا ينفد له عد. كما لا يخفى على من كان له حظ من الاطلاع

على دواوين الشعر. وابتكارات المتأدبين. ومن المولد بطريق الاستعمال التشبيهي قولهم «تملّق» الماء إذا جرى وسال. وهو في هذا المعنى مولد لا يعرفه العرب. وإنما هم يقولون تملق الرجل إذا تزلف وتودد وتلطف. ولما كانت حالة الماء في سيلانه تحكي حالة المتودد المتلطف سمى المولدون سيلانه تملقاً قال الأندلسي:

(وكان بمصر السحر قدماً فأصبحت   وأسحارها أشجارها تترقرقُ)
(ويعجبني منها تملّق أهلها   وقد زاد حتى ماؤها يتملّقُ)

ومن ذلك إطلاقهم «بغلات» على ضرب من جواري الرقيق تُنتَج بين جنسين: الصقالبة وجنس آخر. وهي مما يتّجَر به قديماً في مصر. وتسمى الواحدة منها بغلة. تشبيهاً لها بالبغلة التي تركَب: لأَن كلاًّ منهما متولد بين جنسين. وذكروا أَن بعضهم سمع آخر يقول «أُريد أَن أَشتري بغلة أَطؤها». فاستحمقه وحكى قوله لآخر. فقال له «عافاك الله ما منا إلاَّ من يسوغ له أَن يفعل فعله». فاستغرب الأَمر وسأَل عن مغزاه

ففسره له ·

وكلمة « بدري » كان العرب يستعملونها في الغيث يهطل قبل فصل الشتاء : يقولون غيث بدري · ثم استعمله أهل مصر في كل شيء حدث قبل أوانه حتى الوقت والفاكهة · ويقولون لمن أراد الانصراف « بدري » أي لم يحن وقت الانصراف ·

ومنه قولهم للنمام الذي ينقل الحديث « آذان الحيطان » ويقولون « إن للحيطان آذانًا » · ومما نقله العرب عن أصله واستعملوه في معنى كنائي قولهم « أبناء السكك » و« أبناء الدهاليز » و« تربية القاضي » يريدون بذلك أولاد الزنا وأراذل الناس وخشارتهم · وكلمة قرنان لمن لا يغار على أهله مأخوذ من مادة « القرن » : إشارة إلى أنه حيوان يصلح أن يكون له قرنان · والعرب لا تعرف شيئًا من ذلك · وإنما هو من مواضعات المولدين واستعمالاتهم التي اعتمدوا فيها التعريض والكناية ·

و«جيبُ» القميص طوقهُ · حيث يُدخل الرأْس · واستعمالهُ فيما يكون على جانبتي الثوب حيث يضع المرءُ دراهمهُ وأَشياءَهُ مولد لم يعرفهُ العرب ·

وفي الكلمات التي أَحدثها المولدون ما كان طريق إِحداثه التحريف عن أَصله العربي الصحيح : كالست للمرأَة · محرَّف عن سيدة · وكالسبَت المحرَّف عن سفط · قال في القاموس السفَط وعاء كالجوالق (الزكيبة) أَو كالقفة · والعامة في مصر يستعملون السبت فيما يشبه الاخير · ويراد بالسبت في بلاد الشام الصندوق من جلد متين يضع فيه المسافر أَمتعته وثيابه · ويسميه المصريون شنطة · ولعلَّ العيبة عند العرب بمعنى ذلك : فقد قالوا في تفسيرها انها « مستودع الثياب » · عَلَى ان السفط بالفاء كانوا يستعملونهُ قديماً في الوعاء الذي يستودع الطيب والحلى والذخائر النفيسة · لا الاشياء التافهة الحقيرة · وقد قال لي بعض علماء الفرس ان كلمة « سبَت » بالباء فارسية الاصل · وليست محرَّفة عن سفط العربية · وقال إِن أَصلها الفارسي (سبد) بالدال · ومعناهُ

عندهم وعاء يتخذ من أغصان الاشجار أو دقاق العيدان : فالسبَت معرَّب سبَد . لا محرف سفط . ولعل هذا هو الاصح .

وبالجملة فان المولَّد وضروبه وشُعَب استعمالاته كثيرة جداً . لا يمكن الاحاطة بها . أو تصويرها للذهن القارئ . ما لم يعرض عليه جميع ما نظمه المولدون وكتبوه . فانهُ لا تكاد تخلو قصيدة من منظومهم . ولا مقالة من منثورهم — من كلمة أو كلمات مولدة اشتقاقاً أو تعريباً . ومن تركيب تشبيهي أو كنائي اصطلحوا عليه وزينوا كلامهم به . ولم يعرفهُ اهل اللغة . ولم يتنبهوا اليه .

المحدث او العامي

واعلم ان ماسميناه مولداً كان يحسن منا أن نميّز بينهُ ، ونقسمهُ الى قسمين مولد ومحدث . تبعاً لانقسام الذين وجدوا بعد الاسلام الى مولدين ومحدثين : فالمولدون من كانوا في صدر الاسلام . والمحدثون من عاشوا بعدهم الى عصورنا هذه . وما أحدثهُ هؤلاء

المحدثون في كلامهم من الكلمات والتراكيب والاصطلاحات كان يسميهِ الادباء «محدثًا» . تمييزًا له عن المولد . ونسميه نحن اليوم «عاميًّا» . غير أن تتبُّع الكلمات التي نشأت في الاسلام وتمييزها وإرجاع بعضها الى زمن الصدر الاول وبعضها الى الزمن بعده — من الصعوبة بمكان . وهو مما يحتاج الى بحث وتنقيب . وقلما يمكن للفرد أن يستقل بهذا العمل . ويتيسر لهُ الاحاطة بهِ . وانما يتيسر للمجامع العلمية واللغوية التي تخدم اللغة وآدابها . وتبحث في موادها وجميع مفرداتها أصلية أو دخيلة . بحثًا تحليليًا تاريخيًا . فتعرف معدن الكلمة . ومن أية لغة نبتت . والزمن الذي نشأت فيـــهِ . ثم كيف جعلت تنتقل من طور الى طور في الاشـــتقاق والصيغة والاستعمال . حتى وصلت الى آخر عصورها .

وما قلناه في المولد من أن طريقة توليده تكون تارة الاشتقاق . وطورًا التعريب . وآونة الاستعمال التشبيهي أو الكنائي يقال مثله في المحدث او العامي . فكم من كلمة عامية تسمعها تدور على ألسنة الخاصة بلْهَ العامة . ويكون أصلها من اللغات الأعجمية . أو تكون مشتقة من أصل عربي فتصرفوا فيها . وغيَّروا شكلها

وأَبقوها في معناها . أَو نقلوها الى معنى اخر بطريق التشبيه أَو الكناية . والامثلة على ذلك كثيرة جدا . لا نتكلف عناء ذكر شيء منها . وانما نحيل القاريء الفطن على مجالات العامة . وما يسمعهُ من أَفواههم . وإِعمال ذهنهِ في فهم كلماتهم وتراكيبهم . فانهُ يجد فيها أَمثلة لما ذكرناه من أَحوال الكلمات العامية التي تماثل فيها أَحوال الكلمات المولدة

نتائج وملاحظات

قد تحصَّل معنا أَنَ الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة العربية . وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة — قسمان قسم عربي محض وقسم دخيل . والدخيل أنواع : منهُ ما أَدخله أَهل اللغة أَنفسهم الى لغتهم قبل الاسلام كسندس وإِبريق . ويسمى في الاصطلاح معربًا . ومنه ما أَدخله المولدون في صدر الاسلام ويسمى مولدًا . ومنهُ ما أَدخلهُ المحدثون بعدهذين الدورين ويسمى محدثًا أَو عاميًا . والطريقة في إِحداث النوعين

الاخيرين — المولد والعامي — قد تكون الاشتقاق: كالعربة والبارود والفسقية. وقد تكون التعريب: كالبوس والبازهر والماهية. وقد تكون التصرُّف في الاستعمال: بأَن نستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب: كالقطر والقطائف.

والدخيل بانواعه الثلاثة لايحطُّ من قدر الكلام العربي إِذا وقع فيه. وإن كان في أَصله غير عربي: لما قدمناه من الادلة على ذلك عند الكلام على التعريب. والادلة المذكورة تصلح ان تكون مقدمات منطقية نتيجتها «أَن الكلمات المعربة عربية أَو بقوّة العربية» حتى لا يكون ثَمَّ فرقٌ في صحة الاستعمال بينها وبين تلك التي تكون عربية الاصل: بحيث يصح لك أَن تستعمل كلمة «رصاص» الاعجمية المعرَّبة في كل موضع تستعمل فيه كلمة «صرَفان» العربية. وما يدرينا أَن صرَفان وأَمثالها من الالفاظ القديمة التي نحسبها عربية والتي لا رائحة فيها للاشتقاق من مادة عربية — غير عربيةٍ في أَصلها وإنما هي دخيلة.

وقد ذكرنا في جملة تلك الأَدلة دليلاً لا نزاع في صدق

دلالته : وهو أن علماء البلاغة أنفسهم حصروا شروط فصاحة المفرد في ثلاثة امور: خلوصه من تنافر الحروف · ومن الغرابة · ومن مخالفة القياس · ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عربياً قحاً لا شائبة فيه للعجمة ·

إذا راعيت في الكلمة الدخيلة التي تودعها كلامك ــ خلوصها مما ذكره علماء البلاغة كان كلامك فصيح المفردات · وعليك بعد ذلك أن تراعي سائر ما اشترطهُ اولئك العلماء في فصاحة الكلام وبلاغته · حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحاً بليغاً ·

لا يكون كلامك فصيحاً اذا أودعتهُ من الكلمات العربية ما كان غريباً عن أفهام المخاطبين· أو مما تنبوعنه اذواقهم · وتتجافى طباعهم · مثل أن تقول: « وكان الطُهاة يغرفون ألوان الطعام بالفقشليل» · والفقشليل كلمة معربة عن قفجليز الاعجمية· ومعناها المغرفة ــ كما لا يكون فصيحاً اذا أودعتهُ من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول: « أتانا مختالاً

في مشيته . منفشلاً للحيته » تعني منفشّالها . أو تقول « لحاه الله من رجل عفنجش » أي فظٍّ جافي الطباع . ومن هذا القبيل الكلمات الانكليزية أو الألمانية مثلا التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة . يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نعهد مثلها في مخارج لغتنا . حتى إذا اضطررنا إلى إدخال كلمة من هذا الصنف في لغتنا كان علينا حينئذ أن نُشَذِّبَها ونهذبها ونوفِّق بينها وبين أوزان لغتنا . ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . كي تواتينا ويسهل علينا النطق بها . وإلاَّ كان علينا أن نهجرها ونعدَّ الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما إذا تضمن كلمة متنافرة مثلها من الكلمات العربية الأصل كالهعخع وهو اسم نبات . قيل لأعرابي أين تركت ناقتك ؟ قال تركتها ترعى الهعخع . وكأن تقول لآخر : إياك أن تتزوج الهُمَّقعَة . بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة . تعني الحمقاء الورهاء .

واعلم ان الكلمات الدخيلة في لغتنا مهما كان أصلها ترجع إلى قسمين : قسم مدلوله الجواهر والأعيان . مثل

نرجس ولجام. وقسم مدلوله المعاني والأحداث. مثل البوس:

فكلمات القسم الأول - إذا شاعت بيننا. وحلت في أسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة. وتنزهت عن أن تكون من «ألفاظ السفلة» كما سيجيء في قول ابن المقفع - ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وإدماجها في كلامنا: لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما أن لا يكون لها مرادف في لغتنا. أو لها مرادف مهجور. وحينئذ يكون الوجه في استعمالها ظاهراً. وعذرنا فيه مقبولاً. وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور فيكون لنا الحق في أن نستعملها أيضاً اقتداء بأهل اللغة أنفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية الى مرادفاتها من الكلمات المعربة الدخيلة. مثال ذلك كلمة «كوسج» الأعجمية فانهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها. وقلما تراهم يستعملون كلمة الأَثَطّ العربية. بل إذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج. لكونها أشهر منها. وأعلق بأذهان الناس. كما يفسر شرّاح الحديث كلمتي «الدجر» و«اللياء» العربيتين بكلمة اللوبياء

الأعجمية المعربة .

وقد كثر استعمال الدخيل والإعراض عن الأصيل في كلامهم كثرةً تشعر بأن هذا الصنيع طبيعيٌّ في اللغة . وضرورةٌ لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسياً . لأهل اللغة من ورائه غاية محمودة : هي توسيع نطاق لغتهم . وتسهيل أمرها على ممارسها .

هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والأعيان . أما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والأحداث كالبوس فهذا ربما ضرَّ الاستكثار منه فيما أظن : إذ يكون مدرجة لضياع اللغة ومسخها وتحويلها عن أصلها . وقلما تجد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلاً أو مصدرًا أو أسلوبًا خاصًّا من أساليب كلام الأعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها . وإن كان شيءٌ من ذلك فهو قليل جدًّا : ككلمتي « الهرج » و« النفاق » الحبشيتين .

وأكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في

زمن الجاهليـة فلعله لم يتخطَّ القبائل التي عاشت مع الأَعاجم وكثر امتزاجها بهم كغسَّان ولخم وجذام · ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام · نعم إن اللغـة بمجموعها جواهر وأحداثًا محوَّلة عن لغة أَعجمية كما أَثبتناه في صدر هذا الكتاب · ولكن هذا في تحوّلِ اللغة وتولّدِها المتوغل في القدم · لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب · والذي كان يحصل على أَلسنة العرب بعد أَن قامت لغتهم بنفسـها واستقلَّت بأُصولها وقواعدها · فانهم إذ ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الأَحداث والمعاني إلى الإِستعانة بلغات غيرهم · وإِنما يرجعون إلى فضل ذكائهم · وذلاقة لسانهم · وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم · فهم يضعون أَو يشتقون للمعاني التي تجول في نفوسهم من الكلمات ما يغنيهم عن التطفُّل في ذلك على سواهم · أَما الجواهر والأَعيان فقد يتعذَّر أَو يتعسَّر عليهم أَن يضعوا لها كلمات · بعد أَن ضرب المستبضعون والتجار في طول جزِيرتهم وعرضها · وهم ينادون باسم الخيار واللوبيا والباذنجان

والكوب والإبريق والمسك والبنفسج والسندس والاستبرق والفيروز والبلور واللجام والدانق والدرهم والدينار والعربون إلى غير ذلك من أسماء الأدوات والخُرثي والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الأسماء . وأعجزتهم كثرتها . فاضطروا إلى أن يرحبوا بها . ويلقوا حبلها على غاربها . والفرق بين استعمال الكلمات التي مدلولها عين وجوهر وبين استعمال تلك التي مدلولها معنى وحدث ـ يتجلى لك بهذين المثالين :

يستعمل المصريون مصدر « العشم » مكان « الأمل » فيقولون عشمي كذا وأتعشم كذا . وعندي أن استعمال هذه الكلمة في مثل قولنا « نتعشم للبلاد المصرية مستقبلاً سعيداً لما نشاهده من نهضة أبنائها وثباتهم وشجاعتهم الأدبية » مخلّ بفصاحة الكلام : ما دام أهل اللغة أنفسهم لم يستعملوا أمثالها من الكلمات الأعجمية الدالة على المعاني والأحداث . وما دام لديهم ما ينوب منابها . ويربو عليها فصاحة وعروبة مثل : أرجو وآمُل وأطمع وأتوقّع وأنتظر وأتوسّم وأترقّب وأستشرف

وأتطاول وأتشوّف. فاستعمالنا لا تعشم وإعراضنا عن هذا المنهل العذب عقوق للغة وعدول بها عن مناهج أربابها وأساليب أصحابها.

وهناك كلمة أخرى مولدة يستعملها المصريون للدلالة على ذات وعين وهي «الجبلاية»: الجبل معروف. أنثوه وصغروه وحرّفوه فصار جبَلاية. ويريدون بها الربوة الصغيرة تقام في المنتزهات. ويقلد بها الهضاب والآكام الطبيعية التي تكون في الصحاري والفلوات. بأشكالها ونخاريبها وتضاريسها ومياهها المتقاطرة منها. ومايعلوها من نباتات. ومايتكوّن تحتها من كهوف ومغارات. مثل جبلايات حدائق الأزبكية والجزيرة والجيزة. فقد يعرض للكاتب أن يصف تلك الحدائق ومافيها: ويجري في وصفهِ ذكر تلك الروابي. فأي إسم يطلقهُ عليها غير الإسم الذي استعمله الناس وأنسوا بهِ. وكان معناه أسرع إلى نفوسهم. أعني الجبلاية؟ إن للجبل الصغير في اللغة العربية أسماء تُربي على على الأربعين. ومهما تأنّق الكاتب في تخيّر اسمٍ يقوم مقام

اسمها المتعارف فلن يجيء ملائماً لنفوس المخاطبين . أَومنطبقاً على أَذواقهم : فلولم تقل « ثم علونا الجبلاية . وشاهدنا مِن عليها غروب الشمس وراءَ شجيرات النخيل » ـ بل قلت « ثم علونا التلة أَو الكثيب أَو الأَكمة أَو الرابية أَو الهضبة أَو النجوة أَو النشز أَواليفاع أَو القارة أَوالنبكة أَو الفلكة أَو الربوة أَوالزبية أَو الريع أَوالصمّان أَو القردد أَو الجفجف أَو الهوبج الخ الخ لما كنت في تعبيرك هذا إِلاَّ معمّياً على السامعين . حابساً نفوسهم عن المضيّ في الفهم . حاملاً لهم على الاستفهام منك : أَيُّ شيءٍ هذا الجفجف والهوبج ؟ وهم إِنما يعهدون في الحديقة جبلاية لاجفجفا ولاهوبجا . دع الجفجف والهوبج لمقال تنشئهُ في وصف صحراء ليبيا أَو حضرموت فتقول : « وكنا نرى الظباء تعلو الهوابج والكثبان . وكانت إِذا آنستنا عن بعد نَصَّت أَعناقها وولّت هاربة » ولايحسن منك أَن تقول « وكانت الظباء تعلو التلال والجبلايات » فان الجبلايات هنا سخافة يتعوذ منها الذوق والأَدب .

ويسمُّون الوعاء يكون من قصبٍ أَو عيدانٍ . يضعون فيهِ الفواكه والأَثمار ـ سَبَتاً : فلو لم تقل « وكان السيَّاح يرون في سكك القاهرة باعة العنب: يحمل أَحدهم على رأْسهِ « سبَتهُ » وهو ينادي « جواهر يا عنب »ـ بل قلت « كان يحمل سفطه » تعني سبته . ذهاباً منك إلى أَن سفط هي الأَصل الصحيح واللفظ الفصيح ـ كنت في ذلك مباعداً ومتنطعاً وقاطعاً على سامع كلامك حبل الفهم : لأَن السامع الجاهل لا يفهم للسفط معنى . والعالم يعهد أَهل الأَدب إِنما يستعملون السفط في الوعاء الذي تصان فيه الذخائر والأَعلاق . لا الفواكه والأَثمار .

ولو سمع العربي من يقول للسفط «سبت» لتعلَّمهُ منهُ . واستعمله في كلامه . من دون أَن يجد في نفسه حرجاً . أَو في لغته رطانة . ومهما حاولت أَن تنيب السفط مناب السبت ففسرتها بها في كل كلام أَو كتاب وردت فيه — لما أُطقت ذلك . ولما تيسر لك . اللهم الا اذا أُرسلتَ في المدائن حاشرين . يأْتونك بالعامة والباعة والسوقة وأَهل الارياف والقرى العاملين في الحقول

والمزارع · ثم قمت فيهم خطيباً · فوعظت وأنذرت · وأبرقت وأرعدت وكلفتهم ان يسمواوعاءهم هذا اسفطاً · ويدعوا كلمة سبت · ولا أظنك فاعلاً · ولا أظنهم فاعلين

ولو كنت في بلاد يسمي أهلوها السبت سلَّةً أو قفة أو قَرْطلاً أو زنبيلاً لكان من مقتضى الحال والفصاحة أن تسميها في كتابك أو خطابك بما يسمونها به · وتعدل عن تسميتها بمثل « دوخلَّة » و« قوصرَّة » و«مكتل» و«صنّ» وكلها بمعنى الوعاء من خوص في اللغة الفصحى · وذلك لان مدار الفصاحة على الافصاح عما في نفسك · ومدار البلاغة البلاغ بما في نفسك الى نفس مخاطبك بحيث يحيك المعنى في نفسه مثلما حاك في نفسك · نعم إن من الفصاحة أن تسمي البطيخ بطيخاً في مصر · وحبحباً في الحجاز · وجبَساً في شمالي سوريا · وخربزا في البلاد التي يسميه أهلوها به · ولو لم تفعل كنت ملغزاً أو محاجياً · وقد يكون للكلمة المعربة وقع في نفوس المخاطبين وتأثير لا يكون للكلمة بمعناها في اللغة الصحيحة : يعرف ذلك كبار الكتاب · وشدَّ ما توخوه في

كتاباتهم : قال الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده في ترجمة رسالة السيد « جمال الدين » في الرد على الدهريين - بصدد التشنيع على طبيعيّي الهند « ولا يظنَّن ظانٌّ انما نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء البياجوات الهنديين » ثم قال الاستاذ المترجم في تفسير كلمة البياجو « هو اسم ايطالياني اشتهر في الهند لمن يقلد الماهر في اللعب بحركات غير متَّسقة لأضحاك الناظرين. ويعبر عنهُ في العربية بالخلابيس. وأصله الشيء لا نظام لهُ. والطبيعيونُ في الهند يمثِّلون أحوال الدهريين في أُوروبا تمثيلاً مضحكاً » فانظر كيف أن إمامي البلاغة في هذا العصر استعملا كلمة « البياجو » وعدلا عن كلمة « الخلابيس » : لما يعلمانهِ من أن التأثير والتنفير يكون بالكلمة الاولى أتمّ وأشد منهُ بالكلمة الثانية. بقي علينا أمر لا يصح إغفالهُ : وهو أن يقال : سلَّمنا أن الكلمات الدخيلة الدالة على الأحداث والمعاني لا تعتبر فصيحة. ولا يكون استعمالها من الحسن في شيء. وذلك لأن في اللغة ما يسدُّ مسدّها كما مر في كلمتي العشم والبوس. لكن ليست كلمات الأحداث والمعاني

كلها بحيث ذكرتَ ووصفت· ما ذكرتَه انما هو في الأَحداث والمعاني التي ترجع الى قوى النفس ومدركاتها · أَو الى أَعمال الجسم التي تتعلق بشيء في الخارج يعهده أَهل اللغة · أَو الى ظواهر تقع في الكون وقد شاهدها الواضعون وأَحسُّوا بها — فان لديهم من الالفاظ والتراكيب الدالة على كل ذلك ما يفي بالغرض · ويسدُّ الحاجة · فلا يجوز أَن نُدخل إلى لغتنا من لغة أَجنبية كلمةً بمعنى الأَمل مثلاً وفي لغتنا مثل ماسردنا لك آنفاً من الكلمات · ولا أَن ندخل الى لغتنا كلمةً بمعنى الصعود وفي لغتنا مثل علا وصعد وتسنَّم وتسلَّق وتسوَّر وتوقَّل · ولا كلمةً بمعني غروب الشمس وفي لغتنا مثل غابت وغربت ووجبت وأَفلت وغارت وجنحت وآبت · ثم نقول : ولكن هناك اختراعات أَوجدها قوم من غير أَبناء لغتنا · ووضعوا من كلمات الأَحداث والمعاني التي تشتقُّ ويشتق منها ـ مايتعلق باستعمال تلك الاختراعات · ويدل على طرق الانتفاع بها : اخترعوا الاوتوموبيل مثلاً · وسموه بهذا الاسم · فنحن معشر العرب نأْخذه ونأْخذ اسمه · كما أَخذ أَسلافنا المنجنيق واسمهُ

من لغة اليونان. ومخترعوا الاوتوموبيل أنفسهم وضعوا كلمات أُخر للدلالة على أفعال وأعمال تتعلق به. مما لا يمكن أن يكون موجوداً في لغتنا. مادام الأُوتوموبيل نفسه ما كان معروفاً لدى أهلها. وواضعي كَلِمِها. ومثل ذلك يقال في جميع الادوات والآلات المخترعة التى لها أفعال خاصة بها. يزاولها المرء عند استعمالها. والانتفاع بها فما نحن صانعون بازاء ذلك ؟ هل نأُخذ اسم الاوتوموبيل مثلاً ونهمل الافعال المتعلقة به فلانزاولها ؟ وهذا لا يمكن ولا يتأَتى لنـــا. أَوإِننا نشتق من أُصول لغتنا كلمات لتلك الافعال ؟ وهذا في غالب الظن غير مقـــدور لنا أيضاً. أَو إِننا نكل الامر لطبيعة الناس. والمستعملين لذلك الاختراع. فنتابعهم فيما اصطلحوا عليهِ. ونقول إِذا استخدم أحد منا التلغراف فى مخابرة آخر — « ضرب فلانا تلغرافًا الى فلان » أَو « تال فلان فلانًا » يعنون خابره بالتلغراف. وفِعلُ « تال » منحوت من اسم التلغراف. كما اصطلح على ذلك التجار في سوريا ؟ أَو إِننا نأُخـــذ كلمات الأَحـــداث والأَفعال نفسها التى نطق بها مخترعوا ذلك الشيءَ

فنتصرف فيها · ونشتق منها من الصيغ ما نحن في حاجة اليه : فنشتق لسوّاق الأُوتوموبيل اسماً من مادته فنقول: « آتم » أو « تامل » مثلاً كما سمى العرب صاحب المنجنيق الذي يباشر الرمي به « ناجق » اشتقاقاً من كلمة « منجنيق » الاعجمية ·

هـذا ما يمكن أن يورده المورد في مثل هـذا المقام · وليس لمثلي أن يبتّ الرأي فيه · لاسيما وهو مما يتعلق بحياة اللغة وبثباتها في هذا الموقف الهائل الذي تزدحم فيه اللغات الحيّة — وانما أَكل الحكم فيـه الى الجمعيّات اللغوية التي تتمخّض عنها البلاد · ويتحفز الى إنشائها من فضلائنا أَفراد ·

الخاتمه

ومن أراد أَن يكون على بصـيرة من أَمر الأَلفاظ مطلقاً عربيةً أَو دخيلة · ومن كيفية استعمالها · ومعرفة الفصيح من غير الفصيح منها — فلا يكفي أَن نقول لهُ ما قالهُ علماء البلاغة من أَن فصاحة المفرد خلوصه من الامور الثلاثة التي مرّ ذكرها ·

وانمـا يجب أَن نُلِمَّ بالموضوع من جهة اخرى . ونبنيه على ما قالهُ علماء البلاغة أَيضاً من أَن «لكل كلمة مع صاحبتها مقاماً» . وعلى ماقالهُ ابن المقفع ــ وقد سأَلهُ سائلٌ عن فصيح الكلام ــ « عليك بما سهل من الأَلفاظ مع التجنُّب لأَلفاظ السفلة » . تلك الأَلفاظ التي تَبَرَّأَ منها أَبو الأَسود الدؤلي فقال

(ولا أَقول لقِدْرِ القوم قد غَلِيت

ولا أَقول لبـاب الدار مغلوق)

يعني أَنهُ يقول : غَلَت لا غليت . ومُغْلَق لا مغلوق .

إِعلم أَن الكلمات مطلقاً عربية أَو دخيلة لها وضع ولها استعمال . فمهما عرفنا أَن الكلمة وضعها أَهل اللغة لمعنىً ما . ومهما عرفنا أَنها خالصةٌ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس ــ لا نكون على بيِّنة من أَمر استعمالها في كلامنا استعمالاً فصيحاً بحيث نكون موافقين فيهِ أَساليب البلغاء ــ مالم نعرف كيفية استعمال تلك الكلمة . وكيف اعتاد الفصحاء أَن يقرنوها بغيرها . مما يناسبها من الكلم .

فاذا عرض لك في مقالة تكتبها مثلاً أن تقول «إن فلاناً لما تُوفِّي صديقه كان يريد أن يبكي . لكنهُ ما كان يقدر على البكاء» ثم اتفق أن وقع نظرك في معاجم اللغة على كلمةٍ تفيد هذا المعنى المركَّب وهي كلمة «العسقفة»: قالوا ومعناها «أن يريد الرجل البكاء فلا يقدر» . فهل يصح لك أن تقول في مقالك المذكور «وإن فلاناً لما توفي صديقه كان يعسقف» . اعتماداً على أن الكلمة مما وضعه العرب . وقد ذكرت في معاجم لغتهم . وأنها فصيحة خالصة من التنافر ومن الغرابة ومن مخالفة القياس اللغوي ؟ أنت إذا استعملت هذه الكلمة في الجملة المذكورة لمجرد رؤيتك لها في المعاجم تكون مجازفاً غير متثبِّت من أمر فصاحة كلامك . ولا تكون متثبِّتاً في ذلك ما لم تعرف وراء وضع الكلمة طريقةَ استعمالها في كلام البلغاء . وبأيّةِ كلمةٍ يقرنونها ؟ وفي أيّ مقام يأتون بها ؟ وهل هي من ألفاظ السفلة . أو من الكلمات التافهة المبتذلة ؟ إذ «لكل كلمة مع صاحبتها مقام» . كما قال علماء البلاغة . وعلى الكاتب أن يتجنَّب ألفاظ السفلة . كما

قال ابن المقفع . ولا فائدة للمرء في معرفة كون الكلمة موضوعة وفصيحة مالم يعرف طريقة استعمالها . ومعرفةُ طريقة الاستعمال تتوقف على كثرة قراءة كلام الفصحاء . والتأمُّل في أَساليبهم . والموازنة بينها . ونقد مواضع الضعف فيها . فالذي يعطيك ملكة الفصاحة والبلاغة هو ما ذكر . أَما المعاجم التي تسرد موادّ اللغة سردًا . وتفسِّر معناها . فهي انما تفيدك بيان معنى ما أَشكل عليك فهمهُ من الكلمات التي وقعت في كلام أُولئك البلغاء والفصحاء . وهذهِ القاعدة تتمشَّى على كل كلمة عربية أَصيلة . أَو معربة دخيلة . فاذا كان كاتب السطور ممن يتَّسع صدرهُ لكل كلمة دخيلة في اللغة فليس معنى ذلك أَنهُ يمهِّد الطريق أَمام اللخلخانية (العجمة) تتغلغل في أَحشاء لغته العربية . ولا أَنهُ يرحِّب بقول العامة الازمة المالية (بتشديد الميم) ولا بقولهم « أَخذ فلان أُهبة السفر » (بتشديد الباء) ولا بقولهم وما افترَّ يعمل كذا (بتشديد الراء على وزن احمرّ) ولا بقولهم الامر مناط أَو منُوَّط بك (بتشديد الواو) موضع منوط (بتخفيفها)

— وليس هو ممن يسوّغ حشر الكلمة الدخيلة في الكلام أيَّة كانت . وكيفما اتفق . من دون قيد ولا شرط .

كلا : القيد والشرط هو الملكة الصحيحة أو الذوق السليم الذي يكتسبهُ المرء بمزاولة كلام البلغاء . ونظرهِ في أساليب الفصحاء : فيعرف إن كان يحسن أن تستعمل هذه الكلمة العربية أو الدخيلة هنا . أو لا يحسن ؟ وتحصيل تلك الملكة أو هذا الذوق يتوقف أولاً على القابلية والاستعداد الفطريين . ثم على دراسة الكتب والتصانيف التي رُكّبت فيها الكلمات الفصيحة تركيباً : أي عُرضت على أنظارنا مستعملةً في الكلام البليغ . مثبتةً في موضعها منهُ . لا مسرودةً سرداً . كما هو الشأن في المعاجم . لكن على المرء أن لا يستهين بتلك المعاجم : فانها مرجع كلام البلغاء وعليها يتوقف حلُّ رموزهم . واستخراج كنوزهم . فلا غرو إذن إذا قلنا إن الملكة الصحيحة انما تنال من تردُّد الذهن بين كتب البلغاء . وبين معاجم اللغة . ومراوحة النفس بين مراجعة هذه . وبين التأمُّل في تلك .

أَما المعاجم فأَشهرها لسان العرب والقاموس وشرحهُ والصِحَاح ومحيط المحيط وأَقرب الموارد · ويمتاز هذا الاخير بسهولة المراجعة فيهِ · وتناول الكلمات منه عن كَثَب ·

وأَما الكتب التي ترشدنا الى طريقة تركيب الكلمات وتدرِّبنا على كيفية استعمالها فهي قسمان : قسم لم يكن الغرض منهُ الارشاد والتدريب · وانما أُريد منهُ شؤُون ومقاصد أُخر · فجاءَت هذه الشؤُون والمقاصد مفرَغة في قالب بليغ فصيح : وهذا كالقرآن والحديث وشعر عرب الجاهلية والمخضرمين وبلغاء الاسلاميين · وكخطب أَهل الصدر الأَول ومنشآت كتَّابهِ · وكنهج البلاغة وكتابات الجاحظ وابن المقفع · وككتاب الأَغاني والعقد الفريد ومقدمة ابن خلدون · وكالاحياء وتهذيب الاخلاق وأَدب الدنيا والدين وكليلة ودمنة ·

والقسم الثاني ما كان القصد فيهِ تمرين الطالب وإِرشادهُ الى كيفية استعمال الكلمات الفصيحة · والتراكيب الصحيحة · وهذا أَيضاً قسمان : قسم التُزم فيهِ السجع · وروعي فيهِ المواعظ والرقائق

والآداب: كمقامات البديع والحريري والزمخشري والاطواق والاطباق . وقسم لم يلتزم فيهِ شيءٌ من ذلك : كأَساس البلاغة والمثل السائر والأَلفاظ الكتابية ونجعة الرائد .

وعندي ان القسم الأَول الذي لم يقصَد في وضعهِ التمرين والتدريب — مفيد فيهما . ومساعد على تحصيل ملكة البلاغة اكثر من القسم الثاني الذي قصد فيهِ ذلك . وهذا على حدِّ ماجاءَ في الحديث الشريف : « من أَخلص أَربعين صباحاً لله تتفجَّر ينابيع الحكمة من قلبه . ومن أَخلص لأَن تتفجَّر فلن تتفجَّر . »

هذا هو الاشتقاق والتعريب . وهذه كلمتي فيهما أُلقيها على مسامع أَهل الفضل والأَدب . وجهابذة النقد في لغة العرب

تنبيه

استشهدت في فصل «نتائج وملاحظات» صفحة «١٢٤» بمادة (العشم) — على المولَّد الذي مدلولهِ حدث . وبعد طبع الملزمة ارتبت في صحة هذا الاستشهاد . وكاشفت المعاجم : فإذا من معاني العشم (الطمع) . والطمع قد يكون بمعنى الرجاء الذي يريده المصريون في استعمال كلمة « العشم » . قال تعالى : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) . وإذا لم يصب عشمي في كلمة (العشم) فليعتبر القارئ استشهادي بها على سبيل الفرض ثم ليمثّل في ذلك المقام بكلمةٍ غيرها . فلن يعدمها إذا طلبها .

هذه المقالة للمؤلف كتبها في موضوع الكتاب نفسهُ · وقد نشرت في المؤيد عدد ٥٢٨٨ الصادر في ٨ اكتوبر سنة ٩٠٧

بحث لغوي

وكتاب جديد فيه

هل يباح في اللغة العربية دخول كلمة أعجمية اليها ؟ أو أن يحدث المتكلمون بالعربية اليوم أو قبله كلمةً لا يعرفها العرب أنفسهم · سواء كان بالاشتقاق من لغتهم · أو بالاقتباس من لغات جيرانهم ؟ وبالجملة هل إن المعرَّب والمولَّد مما يصح استعمالهُ في الكلام العربي ؟ أولا يصح فيكون الكلام الذي يتضمنهُ مشوَّهاً غير فصيح أو غير بليغ ؟

هذا السؤَال أو هذا الاشكال مما يخطر لكل كاتب · ويتردَّد في نفس كل قارئ ·

وقد كتب بعض القرَّاء الى المؤَيد ينتقد استعمال كلمة «سبَت» للوعاء الذي يضع فيهِ الباعة في مصر الفواكهَ والأثمار · وقال

صوابه « سفط » فاللازم استعماله : لأنه العربيّ المحض . أما سبت فمولد أو محرّف عن سفط . وكتب آخر مقالاً مسهباً في التمثيل فقال إن « المرسح » خطأ وصوابه « المرزح » بالزاي : لأن أهل اللغة قالوا في تفسير المرزح هو المطمئن من الأرض . أما كلمة المرسح فلا وجود لها في كتب اللغة . ثم جعل الكاتب يكرر « المرزح » في كل مقام اقتضى ذكر المرسح فيه من مقاله المذكور . وكتب أديب آخر يقول : شاع في أيامنا استعمال كلمة «سكرتير » نقلاً عن اللغات الأجنبية حتى أضحت جزءاً من العربية . وهي (اى العربية) في غنى عنها : ففي لغتنا كلمة « ناموس » وهي أملأ معنىً . وأوفي غرضاً . من كلمة سكرتير : قال في القاموس « الناموس صاحب السرّ المطّلع على باطن أمرك . ونامسه ساره » ثم قال الأديب « ولا أرى عذراً مطلقاً لحشو كلمة «سكرتير» في المواضع العربية البحتة كما كان الحال في لائحة نظام المدارس الاميرية أيام كان المستر دنلوب « ناموساً » بنظارة المعارف » يعني سكرتيراً لها . الكتاب كثيرون . والقرّاء أكثر . والكلمات الدخيلة أكثر منهما . وقد أخذت شكاوي محبي اللغة العربية في التكاثر

خائفين أَن تفسد اللغة ، أَو تموت كلماتها التي يصحُّ أَن تنوب مناب الأُخرى الدخيلة . وقد سمعتَ آنفاً نموذجاً من شكاوي الكتَّاب والقرَّاء . ولو كنت تصغى إلى حديث أُولي الفضل والأَدب لسمعت في حديثهم وحوارهم ما يرشـدك الى مبلغ عنايتهم بهذا البحث . واختلافهم في شأْن الكلمات الدخيلة . وما هو المقبول منها ؟ وما هو غير المقبول ؟

إِن لي رأْياً في المسئلة ربما لم يوافقني عليهِ إِلاَّ القليل . وهذا لا يمنعني من إِبدائِه ونشره وتأْييده : اللغات ليست بمادتها وكلماتها . وإِنما هي بأَساليبها وتراكيبها . فهذه هي المزيَّة التي تميز لغة عن لغة . وبالمحافظة على أَساليب اللغة وتراكيبها تحصل المحافظة على نفس اللغة . أَما الكلم والأَلفاظ فأَنها تتغيَّر وتتبدَّل وتتجدَّد من عصر الى آخر . تبعاً لتجدُّد البيئات والمؤَثِّرات : فقد تموت وتندثر كلمات من قديم اللغة . ويقوم مقامها كلمات حديثة من لغة أُخرى . احتكَّت بها . أَو بارتها في ميدان واحد . فتتقمَّصها اللغة الأُولى . وتبقى على حالها . فلا يقولنَّ قائل إِن تلك اللغة صارت بهذه الكلمات الجديدة الطارئة عليها — لغةً

أُخرى جديدة .

ليس لهُ أن يقول ذلك لأَن الأُسلوب الخاصّ بتلك اللغة ثابت باق: فهو يطوّر الكلمات الدخيلة . ويمثّلها الى بِنْية لغتهِ . كما يمثّل جسم الإِنسان الدقائقَ الغذائية التي يتناولها من لحوم الحيوان — الى جسمهِ . ويبقى مع هذا انساناً : لمحافظتهِ على شكلهِ وصورتهِ . وإِن كانت كل دقيقة من جسدهِ محوَّلة عن دقيقة من أَجسام الحيوانات التي أَكلها .

وأَظهر مثال لما قلنا ــ اللغة التركية : فانها مستقلة بأَساليبها وتراكيبها الخاصة بها التي تميزها عن غيرها من اللغات . وان كانت (أَعني اللغة التركية) مؤَلفة من كلمات متعددة ومن لغات مختلفة : كالعربية والفارسية والفرنساوية . فلو كانت الكلمات الدخيلة في اللغة تضير اللغة أَو تحطُّ من قدرها لضار ذلك اللغة التركية . وأَفسدها . وأَذهب رونقها . على أَن الأَمر بالعكس : فإِن تلك اللغة باقتباسها الكلمات العذبة الرشيقة من اللغات المختلفة تعدُّ من أَحسن اللغات وأَعذبها وأَرشقها أُسلوباً

لا نقول إنه يحسن منا معشر أبناء اللغة العربية أن نعقّ أمّنا فنحشر إلى أحضانها من الكلمات الاعجمية ما اتفق – كلا . وإنما أريد أن لا نرفض استعمال الكلمة الأعجمية أو المولدة إذا اصطلحنا عليها . وألفتها اذواقنا . وأنست بها أسماعنا : فكلمة مرسح شاعت بيننا : فنحن نفهمها بسهولة . ولا ينبو سمعنا عنها . فلماذا نقلوها ونبحث عن أخرى سواها ؟ كان أسلافنا يستعملون الكلمات المعربة من لغة أخرى مع علمهم أن في لغتهم كلمات تقوم مقامها . فكيف نجفو نحن كلمة «مرسح» ولم يكن في لغتنا ماينوب منابها ؟ المرزح الارض الواطئة . وأين الارض الواطئة التي قد تكون مستنقعاً تسرح فيه الديدان – من الارض العالية التي تُجلى عليها الغيد الحسان ؟ ويقول آخر : المرسح مقلوب « مسرح » فالواجب ان نستعمل الأصل . ولكن كيف نسمي المرسح مسرحا ؟ وأيّ شيء يسرح فيه ؟ وليس هو من الاتساع بحيث يكون مسرحاً للاعبين فيه . أللهم الا اذا قلنا ان الأبصار تسرح في نواحيه . وكل هذا في اعتقادي تكلُّف لا حاجة اليه . ولا جهابذة اللغة يلزموننا به . أو يحضوننا عليه . وكلمة « سكرتير » اعتدناها وصقلتها ألسنتنا كما اعتاد أسلافنا «سكنجبين» وصقلوها بألسنتهم . وساغوها

بلهواتهم . فما الحاجة الى نبذ كلمة السكرتير وعزلها وتعيين «الناموس» ليؤدي وظيفتها . يمكن للكتاب أن يثابروا على تفسير «السكرتير» بالناموس كلما عرضت في كلامهم . بحيث تشيع و يتلقفها الفهم كما يتلقف معنى « السكرتير » على نحو ما صنعوا في كلمة « بالون» فانهم ما زالوا يفسرونها بالمنطاد . و يقرنونها بها . حتى شاعت هـذه وتعورفت بيننا . وهو حسن . ولكنني مع هذا لا أرى أن نهجر كلمة « بالون » بالمرة . وننسى صحبتها لألسنتنا وأقلامنا سنين عديدة . بل أرى أن نحفظ عهدها . ونرعى ودها . ونستعملها احياناً كما نستعمل كلمة « منطاد » ونعتبرها كلمتين مترادفتين في لغتنا العربية كما اعتبرنا «يم» و « بحر» مترادفتين مع أن الأولى معربة . و«صراط » و « طريق » مترادفتين مع أن الأولى معربة ايضاً .

اذا تنكرنا لتلك الكلمات الدخيلة . واسأنا بها الظن . وقلبنا لها ظهر المجن . وعملنا على طردها من بين أظهرنا ـ أخشى ان يدركها الحنق علينا . وتعمل على الانتقام منا . فتغري بنات جنسها أعني الكلمات المعربة كلها من قديم وحديث ـ بالاعتصاب العام ويصممن على الجلاء والانسحاب من بين سطور لغتنا . وبيوت أشعارنا . وبديهي أن كلمة « الله » تكون معهن : لانها سريانية

او عبرانية · وماظنك بفئة «الله» معها ؟ لمن يكون الفلح والنصر والغلبة ؟ لا جرم أن تلك الكلمات الدخيلة الاعجمية الاصل التي لا اعداد لها لو غادرت لغتنا لأبقت فيها فراغاً واسعاً · يعسر علينا أن نملأه بكلمات عربيـة أصلية : من ذلك عدة آيات واحاديث اذا غادرتها كلماتها الاعجمية مست الحاجة إلى أن يخلفها غيرها من العربية المحضة · وفي هذا ما يدعو الى وقف دورة الفلك وإعادة مامضى من لزمن · وتجديد أمر البعثـة · وإنزال الوحي · اللهم غفرا

وقد سبق لبعض قرّاء المؤيد أن كتب ينتقد بعض كلمات جاءت في كلامي من قبيل الدخيل · وعاتبني على ذلك: ذاهباً الى أن تلك الكلمات مما يحطُّ من قدر الكلام · ويشوّه فصاحتـه · فكان هذا باعثاً لي على تأليف كتاب في هذا الموضوع · وسيقدّم الى الطبع فالنشر · ويعرَض على حضرات الادباء والفضـلاء نذرى فيه رأيهم · ونسمع عليه حكمهم انتهى

وهذا هو الكتاب قد تمّ طبعهُ

والحمد لله